رَي الظَّمـــآن

في حديث القـرآن عن

المسجد الحـرام

إعـداد

الدكتور/ مصطفى أحمد محمد أحمد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

الملخص

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي المؤمن ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، واتباع طريقهم ، واتبعهم ليوم القيامة. يعد علم التفسير أحد أعظم العلوم لأنه يغلق معنى القرآن ويجعل الناس يفهمون الآيات. القرآن يساعد الناس على معرفة معنى الله في كتابه. لذا فإن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – مهتم به. قال الله تعالى: "ببراهين وكتابات واضحة ؛ وكنا قد كشفنا لك ذكرى قد تشرح للبشرية ما تم كشفه عنهم وأنهم قد ينعكسون عليهم. هم حيث يختلفون ، و (ك) إرشاد ورحمة للناس الذين يؤمنون ". الصحابة والتابعين المهتمين بالتفسير على مستوى التعليم والكتابة. أمر الله بإدارة القرآن الكريم ومعرفة أحكامه. يقول الله تعالى: "لماذا لا يفكرون في القرآن؟ لو كان من أي شخص آخر غير الله ، لوجدوا بالتأكيد قدرا كبيرا من عدم الاتساق فيه" وفقا لهذا الأمر الإلهي ، العلماء الكبار في كل مرة و ضع دراسة لآيات القرآن ، ودراسة معانيها ، وانظر إلى أسرارها. وبالتالي ، هناك العديد من الكتب حول التفسير وعلوم القرآن في المكتبة الإسلامية. القرآن لا يزال وسيبقى حتى يوم القيامة ، كل إنسان يتعلم منه من يقرأ ويفهم معناه. من بين هذه الأعمال ، التي ظهرت في العصر الحديث ، هناك نوع جديد من التفسير هو "التفسير الموضوعي" الذي أسميته بحثي: "ري العطش في كلمات القرآن حول المسجد الحرام".

يتكون هذا البحث من مقدمة ومقدمة وثلاثة موضوعات:

تتضمن المقدمة أهمية الموضوع وخطة البحث.

تتضمن الديباجة شرطين:

المطلب الأول: تعريف المسجد وسبب تسمية المسجد الحرام بهذا الاسم وتأثيره على هذا التسمية.

المطلب الثاني: المسجد الحرام في القرآن الكريم.

الموضوع الأول: يحتوي على متطلبين:

المطلب الأول: تحديد موقع المنزل ورفع إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – لقواعده.

المطلب الثاني: فضائل المسجد الحرام.

المبحث الثاني: حظر استجابة من يرغبون في دخول المسجد الحرام ، ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تهديد المثبطات والملحدون هو عقوبة مؤلمة.

المطلب الثاني: حظر التعرض لأي شيء متعلق بالمسجد الحرام.

المطلب الثالث : هو إعلان معاقبة من يتم نفيهم من المسجد الحرام بعد أن ليس لديهم عذر.

المبحث الثالث: الوعد بدخول المسجد الحرام وجعله وجهة للناس حتى يوم القيامة ويحتوي على شرطين.

المطلب الأول: وعود الرسول بدخول المسجد الحرام.

الشرط الثاني: البيت المقدس هو وجهة للناس حتى يوم القيامة.

يحتوي الاستنتاج على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال هذا البحث. ثم فهرس المراجع وفهرس المواضيع.

Summary

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and pray and make peace to the faithful Prophet, and to his family and companions, and to follow their path, and follow them to the Day of Judgment. The science of interpretation one of the greatest sciences because it closes the meaning of the Koran and makes the people understand the verses. The Qur'an helps the people to know the meaning of God in his book. So, the Prophet Mohamed - peace be upon him – interested in it. Allah said:" With clear proofs and writings; and We have revealed unto thee the Remembrance that thou mayst explain to mankind that which hath been revealed for them, and that haply they may reflect." And the almighty said:" And we have revealed the Scripture unto thee only that thou mayst explain unto them that wherein they differ, and (as) a guidance and a mercy for a people who believe". The Companions and the followers concerned with the interpretation at the level of education and writing. God ordered the management of the Holy Quran and knowledge of its provisions. Allah says:" Why do they not ponder over the Qur'an? Had it been from anyone other than Allah, they would surely have found a good deal of inconsistency therein" In compliance with this divine command, the great scholars in every time and place study the verses of the Qur'an, and study its meanings, and look at its secrets. Consequently, there are many books on interpretation and the sciences of the Qur'an in the Islamic library. The Koran is still and will remain until the Day of Resurrection every human learns from it who reads and understands his meaning. Among these works, which emerged in the modern era, a new type of interpretation is "Objective Interpretation" I have called my research: "The Irrigation of The Thirsty in The Words of The Qur'an About the Sacred Mosque".

This research consists of an introduction, a preface and three topics:

The introduction includes the importance of the topic and the research plan.

The preamble includes two requirements:

The first requirement: the definition of the mosque and the reason for naming the Sacred Mosque by this name and the impact of this naming.

The second requirement: The Sacred Mosque in the Holy Quran.

The first topic: It contains two requirements:

The first requirement: locate the house and raise Ibrahim - peace be upon him - to its rules.

The second requirement: Virtues of the Sacred Mosque.

The second topic: Prohibition of the response of those who want to enter the Sacred Mosque, and contains three demands:

The first requirement: Threat of the Inhibitors and the atheists is a painful punishment.

The Second requirement: Prohibition of exposure to anything related to the Sacred Mosque.

The third requirement is to declare the punishment of those who are banished from the Sacred Mosque after they have no excuse.

The third topic: promise entering the Sacred Mosque and making it a destination for people until the Day of Resurrection and contains two requirements.

The first requirement: promises of the Prophet to enter the Sacred Mosque.

The second requirement: The Sacred House is a destination for people until the Day of Resurrection.

The conclusion contains the most important results and recommendations that I have reached through this research. Then the index of the references and the topics index**.**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، له الحمد الحسن والثناء الجميل، وأصلي وأسلِّم على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سلك سبيلهم، واهتدى بهديهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعــد...

فإنَّ علم التفسير من أشرف العلوم وأجلِّها؛ لأنه يقرب معاني القرآن الكريم ويسهل فهمه للناس؛ فهو يعين العباد على معرفة مراد الله -ﷻ- في كتابه، ولذلك عني به رسول الله -ﷺ-، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]، وقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٢]، واهتم بالتفسير الصحابة الكرام - ﷺ- تعليماً، وتلقيناً، وروايةً عن الرسول -ﷺ-، واشتغل به التابعون، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين رواية وتدويناً، نقلاً وتدريساً.

ولقد أمر الله بتدبر القرآن ومعرفة أحكامه، قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)[٣]. وقال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[٤]. وامتثالا لهذه الأوامر الإلهية قام العلماء الأجلاء في كل زمان ومكان يتدراسون آيات القرآن، ويتدبرون معانيه، ويبحثون في أسرارها، وترتب على ذلك أن زخرت المكتبة الإسلامية بالعديد من المصنفات في التفسير وعلومه، وما زال القرآن وسيظل إلى يوم القيامة ينهل منه كل من درس وجلس على مائدته، ومن هذه المصنفات التي ظهرت في

١)_ سورة النحل: الآية ٤٤.

٢)_ سورة النحل: الآية ٦٤.

٣)- سورة النساء: الآية ٨٢.

٤)_ سورة محمد: الآية ٢٤

العصر الحديث لون جديد من ألوان التفسير، وهو التفسير الموضوعي، وقد شاءت إرادة الله أن يكون هذا البحث المتواضع في هذا الاتجاه من التفسير، فاستخرت الله، فكانت الخيرة فيما اختاره الله، فوقع الاختيار على أفضل بقعة وأشرف مكان وهو بيت الله، وقد سميت هذا البحث بعنوان: "ري الظمآن في حديث القرآن عن المسجد الحرام".

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أقسمه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث.

أما المقدمة فتشتمل على أهمية الموضوع وخطته.

وأما التمهيد فيشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف المسجد لغة وشرعا وسبب تسمية المسجد الحرام بهذا الاسم وأثر هذه التسمية.

المطلب الثاني: المراد بالمسجد الحرام في القران الكريم.

المبحث الأول: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تشريف الله- تعالي-لإبراهيم -عليه السلام- بأن يبين له مكان البيت وإذنه له برفع قواعده.

المطلب الثاني: فضائل المسجد الحرام.

المبحث الثاني: تحريم صد قاصدي المسجد الحرام من الدخول إليه. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الاول: وعيد الصادين والملحدين بعذاب أليم.

المطلب الثاني: تحريم التعرض لأي شئ له علاقة بالحرم.

المطلب الثالث: التصريح بعذاب الصادين عن المسجد الحرام بعد انتفاء العذر عنهم.

المبحث الثالث: البشرى بدخول المسجد الحرام وجعله قبلة للناس إلى يوم القيامة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بشرى النبي بدخول المسجد الحرام.

المطلب الثاني: البيت الحرام قبلة للناس إلى يوم القيامة.

وأما الخاتمة فتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

ثم فهرس المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

وفي ختام هذه المقدمة أطلب من الله لي ولقارئ البحث أن يرزقنا حج بيته الحرام مررا وتكرارا.

كما أرجو من قارئ البحث المعذرة مما يوجد فيه من عثرات أو تقصير، لأن الكمال لله وحده.

التمهيد

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول:

تعريف المسجد لغة وشرعا وسبب تسمية المسجد الحرام بهذا الاسم وأثر هذه التسمية.

المطلب الثاني:

المراد بالمسجد الحرام في القرآن الكريم.

المطلب الأول:

تعريف المسجد لغة وشرعا وسبب تسمية المسجد الحرام بهذا الاسم وأثر هذه التسمية.

المسجد لغة:

على وزن (مفعِل) بالكسر اسم لمكان السجود، وبالفتح اسم للمصدر.

قال أبو زكريا الفراء: كل ما كان على فعل يفعل كدخل يدخل فالمفعل منه بالفتح اسما كان او مصدرا، ولا يقع فيه الفرق ' مثل دخل مدخلا، ومن الأسماء ما الزموها كسر العين، منها المسجد، والمطلع والمغرب والمشرق وغيرها، فجعلوا الكسر علامة للاسم، وربما فتحه بعض العرب قد روى: المسجِد والمسجَد، والمطلِع والمطلَع. قال: والفتح في كله جائز وإن لم نسمعه.

(سَجَدَ) السِّينُ وَالْجِيمُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَطَامُنٍ وَذُلٍّ. يُقَالُ سَجَدَ، إِذَا تَطَامَنَ. وَكُلُّ مَا ذَلَّ فَقَدْ سَجَدَ. ويقال: سَجَد يسجُد سُجُوداً، فهو ساجِد، ويقال: سجَد الشَّخصُ: وضع جَبهته على الأرض خضوعًا وتعبُّدًا. وَقوم سُجَّد وسُجُود. والمَسْجَد، والمَسْجِد: الْموضع الَّذِي يُسْجَد فِيهِ ويُتَعَبَّد. والجمع الْمَسَاجِد[1].

المسجد شرعاً:

كل من الأرض لقوله –صلى الله عليه وسلم –: "جعلت لي الأرض مسجدا"[2] وهذا من خصائص هذه الأمة. قاله القاضي عياض: لأن من كان قبلنا، كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته. وقال القرطبي: هذا ما خص الله

---

[1]– **ينظر**: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (٣/ ٢٠٤) مادة (سَجَدَ). دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٢)– صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي (١/ ٩٥) رقم: ٣٣٥، كِتَابُ الصَّلاَةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

به نبيه، وكانت الأنبياء قبله إنما ابيحت لهم الصلوات في مواضع مخصوصه كالبيع والكنائس. وقال المهلب في شرح البخاري: المخصوص به صلى الله عليه وسلم جعل الأرض طهورا. (١)

ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل: مسجد، ولم يقولوا مركع. ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيإ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمها. (٢)

لم سمي المسجد الحرام بهذا الاسم؟

سُمّي المسجد الحرام بهذا الاسم؛ لأنّ الله –عزّ وجلّ– حرّم القتال فيها إلى يوم القيامة؛ فلا يجوز فيها القتال وإسالة الدّماء، ونهت الشّريعة الإسلاميّة عن تنفير صيدها، أو قطع شجرها وإيذائه بالإتلاف، ولا يصحّ التّعرّض لنباتها بالأذى والتّخريب، ونهى الإسلام عن التقاط اللقطة من أرض الحرم إلّا على سبيل التّعريف به والإعلام عنه، وقد جاء في الحديث أنّ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– قال يوم فتح مكّة: (إنَّ هذا البلدَ حرَّمَهُ اللهُ يوم خلقَ السماواتِ والأرضِ، فهو حرامٌ بحرمةِ اللهِ إلى يومِ القيامةِ، وإنَّهُ لم يَحِلَّ القتالُ فيهِ لأحدٍ قبلي، ولم يَحِلَّ لي إلّا ساعةً من نهارٍ، فهو حرامٌ بحرمَةِ اللهِ إلى يومِ القيامةِ، لا يُعْضَدُ شوكُهُ، ولا يُنَفَّرُ صيدُهُ، ولا يُلْتَقَطُ لقطتُهُ إلّا من عرَّفها، ولا يُخْتَلَى خلاهُ، فقال العباسُ: يا رسولَ اللهِ، إلّا الإذخرُ، فإنَّهُ لِقَيْنِهِمْ ولبيوتهم، قال: إلّا الإذخرُ)(٣).

---

١)– ينظر: إعلام السّاجد لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤ هـ) (ص٢٧). المحقق: أبو الوفا مصطفى المراغي، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الطبعة: الرابعة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

٢)– **ينظر**: المصدر السابق (ص٢٨).

٣)– صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) (٢/ ٩٨٦) ، رقم ١٣٥٣ ، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

أثر التّسمية:

إنّ لحُرمة بيت الله الحرام آثار ودلالات كثيرة، منها:

١- ضرورة إحساس النّاس في المسجد الحرام بالأمن النفسيّ، حيث جاء الأمر بالنّهي عن حمل السلاح فيها لغير ضرورة أو حاجة، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:(لاَ يَحِلُّ لأَحَدِكُمْ أَنْ يَحْمِلَ بِمَكَّةَ السِّلاَحَ) [١].

٢- الحرص على خصوصية ومشاعر المسلمين بمنع دخول المشركين إلى المسجد الحرام، قال الله تعالى:(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) [٢] الأمر بعدم التقاط اللّقطة في المسجد الحرام؛ لإشعار النّاس بالأمان على أموالهم. الأمر بعدم التّعرض للحيوانات والأشجار في مكّة المكرّمة لا يخلو من دلالةٍ على ضرورة أنْ البلد الحرام آمناً من كلّ الوجوه.

٣- التّغليظ على ارتكاب المعاصي بالمسجد الحرام دلالة على خصوصية المكان ومكانته، وأنّ الله –سبحانه وتعالى– أراده مكاناً للطائفين والقائمين والرّكع السجود، قال الله تعالى:(وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) [٣]، ومن استهان بحرمة بيت الله الحرام، وتجرّأ على المعصية فيه فقد عرّض نفسه إلى خطرٍ عظيمٍ، ونزل به البغض من الله تعالى؛ حيث قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (أبغضُ الناسِ إلى اللهِ ثلاثةٌ: ملحدٌ في الحرمِ، ومبتغٍ في الإسلامِ سُنَّةَ الجاهليةِ، ومُطَّلِبُ دمِ امرئٍ بغيرِ حقٍّ ليُهريقَ دَمَه) [٤].

---

١)– صحيح مسلم (٢/ ٩٨٩) رقم ١٣٥٦، كتاب الحج ، باب النهي عن حمل السلاح بمكة بلا حاجة ،

٢)– التوبة: ٢٨

٣)– الحج: ٢٥

٤)– صحيح البخاري (٩/ ٦) رقم ٦٨٨٢، كِتَابُ الدِّيَاتِ ، بَابُ مَنْ طَلَبَ دَمَ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ.

المطلب الثاني:

المراد بالمسجد الحرام في القران الكريم.

لقد ذكر الله (ﷻ) لفظة المسجد الحرام في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعا، ويراد به ثلاثة معانٍ:

- **الأوّل:** الكعبة ذاتها.

واستدل أصحاب هذا القول بقوله تعالى: (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) [١]

قالوا: والمقصود أن الاستقبال في هذه الآية للكعبة فقط، وأجيب بأن إطلاق لفظ المسجد الحرام هنا من باب التغليب.

واستدلوا بقوله _صلى الله عليه وسلم_: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا الكعبة" [٢]

وأجيب بأن المقصود هنا مسجد الكعبة بدلالة حديث ميمونة _رضي الله عنها– قالت: سمعت رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ يقول: "الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة " [٣]

واختار هذا القول بعض المتأخرين من الشافعية. [٤]

- **الثّاني:** أن المسجد الحرام يراد به المسجد حول الكعبة وهو قول الحنابلة[٥] ورجحه بعض الشافعية[٦].

---

١)- البقرة: من الآية١٤٤.

٢)- صحيح مسلم (٢/ ١٠١٢) رقم 1394 ، كتاب الحج ، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة.

٣)- صحيح مسلم (٢/ ١٠١٣) رقم 1395 كتاب الحج ، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة.

٤)- ينظر: أعلام الساجد ص ١٢١.

٥)- ينظر: الفروع ٦٠٠/١. للإمام محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبي عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).

٦)- ينظر: المجموع ١٩٠/٣. للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر، بدون.

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١ – قوله تعالى: {وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}[١]

وقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا)[٢]

وقالوا إن المقصود في هاتين الآيتين مسجد الجماعة الذي حول الكعبة.

٢ – قوله _سبحانه وتعالى_: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى}[٣]

والنبي _صلى الله عليه وسلم_ أسري به من الحجر عند البيت وقيل أسري به من بيت أم هاني وهو خارج المسجد ولذلك استدل به من يرى أن المضاعفة تشمل جميع الحرم.

ومسألة من أين أسري بالرسول _صلى الله عليه وسلم_ مسألة خلافية.

ولكن الثابت في البخاري عن أنس بن مالك بن صعصعة _رضي الله عنه_ أن النبي _صلى الله عليه وسلم_ حدثهم عن ليلة أسري به قال: (بينما أنا في الحطيم وربما قال: في الحجر..) الحديث" [٤].

٣ – ما رواه مسلم عن ميمونة _رضي الله عنها قالت: " من صلى في مسجد رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فإني سمعت رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ يقول: الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة) [٥].

---

١)– البقرة: من الآية١٩١.

٢)– التوبة: من الآية٢٨.

٣)– الإسراء: من الآية١.

٤)– صحيح البخاري٥ /٥٢ ، رقم ٣٨٨٧، كتاب مناقب الأنصار، بَابُ المِعْرَاجِ.

٥)– صحيح مسلم٢ /١٠١٤، رقم ١٣٩٦، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة

ومفهوم الحديث أن المضاعفة مختص بمسجد الكعبة.

٤ – أن الرحال لا تشد إلا إلى ثلاثة مساجد كما جاء في حديث أبي هريرة _ رضي الله عنه_ أن النبي _صلى الله عليه وسلم_ قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى)[١] .

٥ – أن الجنب لا يجوز له اللبث في المسجد الحرام كبقية المساجد ومع ذلك يجوز له اللبث في بقية الحرم مما يدل على أن المقصود بالمسجد الحرام مسجد الجماعة لا كل الحرم.

–**الثّالث:** أن المسجد الحرام يطلق على الحرم كله.

وهو قول الأحناف[٢]، والمالكية[٣]، والشافعية[٤]، ورجحه ابن تيمية[٥]، وابن القيم[٦].

واستدلوا بأدلة، منها:

١ – قوله _تعالى_: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) [٧]

---

١)– صحيح البخاري (٢/ ٦٠) رقم ١١٨٩، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، بَابُ فَضْلِ الصَّلاَةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ

٢)– **ينظر:** بدائع الصنائع ٣٠١/٢. لعلاء الدين الكاساني، الناشر دار الكتاب العربي– سنة النشر ١٩٨٢– مكان النشر بيروت).

٣)– **ينظر:** الجامع لأحكام القرآن ١٢٧٥/٣. للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)– المحقق: هشام سمير البخاري– الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية– الطبعة: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٤)– **ينظر:** مغني المحتاج ٦٧/٦. للإمام محمد الخطيب الشربيني –الناشر دار المعرفة – بيروت– لبنان.

٥)– ينظر: الفتاوى ٢٠٧/٢٢. للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس– الناشر: دار المعرفة – بيروت– الطبعة الأولى، ١٣٨٦، تحقيق: حسنين محمد مخلوف.

٦)– **ينظر:** زاد المعاد ٣٠٣/٣. للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت– الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

٧)– (التوبة: من الآية٢٨).

فهذه الآية تدل على أن المقصود بالمسجد الحرام هو الحرم كله وليس المسجد فقط، قال ابن حزم بلا خلاف. [١]

ونوقش هذا الاستدلال بأن الله _تعالى_ قال: {فَلا يَقْرَبُوا} ولم يقل: فلا يدخلوا، فالمشرك عندما يأتي إلى حدود الحرم فإنه يصبح قريباً من المسجد مما يدل على أن المقصود بالمسجد الحرام في هذه الآية عين المسجد ويجاب عن ذلك بأنه ليس من المسلم أن مقصوده فلا يقربوا المسجد الحرام أي عين المسجد لأنه قربا لكافر من الحرم لا يلزم منه قربه من ذات المسجد وخاصة في العهد القديم وانعدام الوسائل الحديثة فبعض حدود الحرم تبعد عن المسجد أكثر من واحد وعشرين كيلو مما يدل على أن القرب من الحرم لا يلزم منه القرب من عين المسجد الذي هو مكان للطواف.

٢ – قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)[٢]

والمقصود بالمسجد الحرام هنا الحرم كله ونوقش هذا الاستدلال بأن المراد بالمسجد الحرام في هذه الآية هو المسجد حول الكعبة وهو ظاهر القرآن، وبه قال النووي[٣]، وابن القيم [٤]، وثبت أن رسول الله _صلى الله عليه وسلم– أنه كان يصلي في الحرم فعلم من ذلك أن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ لم يكن صد عن الحرم.

---

١)– **ينظر**: المحلى ٢٤٣/٤. للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ). الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢)– (الحج:٢٥).

٣)– **ينظر**: تهذيب الأسماء واللغات ٢٥٠/٩. للعلامة أبى زكريا محيي الدين بن شرف النووي، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٤)– **ينظر**: أحكام أهل الذمة ١٨٩/١. للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)– المحقق: يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري– الناشر: رمادى للنشر – الدمام– الطبعة: الأولى، ١٤١٨ – ١٩٩٧).

٣ – أن النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما كان في صلح الحديبية كان يصلي في الحرم مع أن إقامته في الحديبية بالحل، وذكر الشافعي أن الحديبية بعضها في الحل وبعضها في الحرم. [١]

وهذا من أصرح الأدلة على أن مضاعفة الصلاة تتعلق بجميع الحرم وليس مسجد الجماعة فقط.

قال ابن القيم رحمه الله: "وفي هذا دلالة على أن مضاعفة الصلاة بمكة تتعلق بجميع الحرم لا يخص بها المسجد الذي هو مكان الطواف. [٢]

ونوقش هذا الاستدلال بأن غاية ما يدل عليه الحديث فضيلة الصلاة في الحرم مقارنة بالحل وهذا لا شك فيه قال الرحيباني وهذا لا يستريب به عاقل".[٣]، وأما المضاعفة فهي خاصة بالمسجد.

وأجيب بأن أفضلية الصلاة في الحرم إنما كانت بالمضاعفة المتعلقة بجميع الحرم وإلا لما كان للحرم مزية في الصلاة فيه عن باقي الأماكن.

وورد عن ابن عباس _رضي الله عنه_ما قوله: الحرم كله هو المسجد الحرام. [٤]، كما ورد ذلك عن عطاء[٥].

ويرى الباحث – والله أعلم– أن الصواب أنّه المصلّى الّذي حول الكعبة مهما اتّسع، وذلك لأمور أربعة:

---

١)– **ينظر:** (الأم ٣٤١/٢). للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ). الناشر: دار المعرفة – بيروت– (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

٢)– **ينظر:** (زاد المعاد ٣٠٣/٣).

٣)– **ينظر:** (مطالب أولي النهى ٣٨٤/٢). للإمام مصطفى السيوطي الرحيباني، المتوفى سنة ١٢٤٣هـ– الناشر المكتب الإسلامي، ١٩٦١م، دمشق.

٤)– أخبار مكة للفاكهي (٢/ ١٠٠)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/ ٥٢٢).

٥)– **ينظر:** (مصنف عبد الرزاق ١٥١/٥، وابن أبي شيبة ٣٩٢/٤/١)، ومجاهد (مصنف عبد الرزاق ٣٤٥/٤، وابن أبي شيبة ٣٩٢/٤/١)، وقتادة (تفسير الطبري ٣٥٩/٣).

أولاً: لقوله (ﷺ): (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) [١] فقابل مسجده بالمسجد، ولم يقصد بمسجده الحرم حتّى يُقصد بالمسجد الحرام الحرم كلّه.

ثانيا: يؤيّده أنّه أوّل ما يتبادر إلى الذّهن، ولا يُصرف إلى غيره إلاّ بقرينة، روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: ((الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ)) قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ((ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى))[٢].

ثالثاً: أنّ فضل الصّلاة في المسجد هو من الأحكام المتعلّقة بمواضع الصّلاة.

رابعاً: لأنَّ قَصْرَ المسجدِ الحرام على الكعبة وما حَوْلَها في تحصيلِ الأجر عَمَلٌ بالاحتياط، وهو الأَوْلَى بالأخذ به؛ لسلامته وقُرْبِه مِنْ تحصيل المصلحة.وتبقى منزلة الحرم وحدوده معلومة، وله أحكامه الخاصّة به الّتي تدلّ على تعظيمه، وتشريفه وتفخيمه.

وأمَّا الآيات التي تقتضي ـ بظاهِرِها ـ شمولَ الحَرَم كُلِّه وكذا عموم مكَّةَ فيمكن الجوابُ عنها مِنْ جهتين:

الأولى: أنه مِنْ إطلاقِ الكُلِّ وإرادةِ الجزء.

الثانية: أنها مُحتمِلةُ الشمولِ وغيرُ متيقَّنةٍ، والمعلومُ أنه: «لَا يُتْرَكُ المُتَيَقَّنُ لِلْمُحْتَمَلِ»، و«لَا المُحَقَّقُ لِلْمُوهَمِ».

---

١)- صحيح البخاري (٢/ ٦٠) رقم: ١١٩٠، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، بَابُ فَضْلِ الصَّلاَةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ.

٢)- صحيح البخاري (٤/ ١٦٢) رقم ٣٤٢٥، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} الرَّاجِعُ المُنِيبُ ".

المبحث الأول

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

تشريف الله- تعالي-لإبراهيم -عليه السلام- بأن يبين له مكان البيت وإذنه له برفع قواعده.

المطلب الثاني:

فضائل المسجد الحرام

المطلب الأول:

تشريف الله- تعالي-لإبراهيم -عليه السلام- بأن يبين له مكان البيت وإذنه له برفع قواعده.

الآيات الكريمة التي تحدثت عن تطهير بيت الله وبيانه والإذن في رفع قواعده هي:

قوله تعالي:(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [١] .

قوله تعالي:(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[٢].

قوله تعالي:(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [٣].

وحول قوله تعالى:(وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) يقول العلامة أبو حيان:(التطهير المأمور به هو التنظيف من كل ما لا يليق به. وقد فسروا التطهير بالبناء والتأسيس على الطهارة والتوحيد، قاله السدي، وهو بعيد، وبالتطهير من الأوثان. وذكروا أنه كان عامرا على عهد نوح، وأنه كان فيه أصنام على أشكال صالحيهم، وأنه طال العهد، فعبدت من دون الله، فأمر الله بتطهيره من تلك الأوثان، قاله جبير ومجاهد وعطاء ومقاتل. والمعنى: أنه لا ينصب فيه وثن، ولا يعبد فيه غير الله. وقال يمان: معناه بخراه ونظفاه وخلقاه. وقيل: من الآفات والريب. وقيل: من الكفار. وقيل: من الفرث والدم الذي كان يطرح فيه. وقيل: معناه أخلصاه لهؤلاء، لا يغشاه غيرهم، والأولى حمله على التطهير مما لا يناسب بيوت الله،

١)- البقرة: ١٢٥.
٢)- البقرة: ١٢٧
٣)- الحج: ٢٦

فيدخل فيه الأوثان والأنجاس، وجميع الخبائث، وما يمنع منه شرعا، كالحائض. [١]

وإذا كان الإمام أبو حيان يرى أن القول بالبناء والتأسيس في قوله أَن (طَهِّرَا بيْتيَ) بعيداً، فإن العلامة ابن جزى يقول في معني (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ...)

"عهدنا" عبارة عن الأمر والوصية "طهرا بيتى" عبارة عن بنيانه بنية خالصة كقوله: "أسس علي التقوى" وقيل المعني طهراه عن عباده الأصنام .[٢]

وعلى ذلك فالتطهير يحتمل البناء ويحتمل التطهير من كل ما لا يليق به من كل ما يذم شرعاً، فإذا كان المراد من قوله: أَن طَهِّرَا بيْتيَ البناء فإن سيدنا إسماعيل – عليه السلام – كان مشاركاً لأبيه إبراهيم –عليه السلام– في بناء البيت.

وحول قوله تعالي: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). يقول الإمام الرازي –رحمه الله–: (قوله " وَإِذْ يَرْفَعُ) حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس، والأصل لما فوقه، وهي صفة غالبة، ومعناها الثابتة، ومنه أقعدك الله أي أسأل الله أن يقعدك أي يثبتك ورفع الأساس البناء عليها، لأنها إذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لأن كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه، ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لأنه إذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات.

---

[١]– ينظر:البحر المحيط (٦١١/١). للإمام أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل– الناشر: دار الفكر – بيروت– الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

[٢]– ينظر:التسهيل (٩٧/١). للإمام أبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي– الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت–الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

ثانياً: الأكثرون من أهل الأخبار على أن هذا البيت كان موجودا قبل إبراهيم عليه السلام على ما روينا من الأحاديث فيه واحتجوا بقوله: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت) فإن هذا صريح في أن تلك القواعد كانت موجودة متهدمة إلا أن إبراهيم عليه السلام رفعها وعمرها.

ثالثاً: اختلفوا في أنه هل كان إسماعيل عليه السلام شريكا لإبراهيم عليه السلام في رفع قواعد البيت وبنائه؟ قال الأكثرون: إنه كان شريكا له في ذلك والتقدير وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت والدليل عليه أنه تعالى عطف إسماعيل على إبراهيم فلا بد وأن يكون ذلك العطف في فعل من الأفعال التي سلف ذكرها ولم يتقدم إلا ذكر رفع قواعد البيت موجب أن يكون إسماعيل معطوفا على إبراهيم في ذلك، ثم إن اشتراكهما في ذلك يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يشتركا في البناء ورفع الجدران.

والثاني: أن يكون أحدهما بانيا للبيت والآخر يرفع إليه الحجر والطين، ويهيئ له الآلات والأدوات، وعلى الوجهين تصح إضافة الرفع إليهما، وإن كان الوجه الأول أدخل في الحقيقة.

ومن الناس من قال: إن إسماعيل في ذلك الوقت كان طفلا صغيرا وروي معناه عن علي رضي الله عنه، وأنه لما بنى البيت خرج وخلف إسماعيل وهاجر فقالا: إلى من تكلنا؟ فقال إبراهيم: إلى الله فعطش إسماعيل فلم ير شيئا من الماء فناداهما جبريل عليه السلام وفحص الأرض بأصبعه فنبعت زمزم وهؤلاء جعلوا الوقف على قوله: من البيت ثم ابتدءوا: وإسماعيل ربنا تقبل منا طاعتنا ببناء هذا البيت فعلى هذا التقدير يكون إسماعيل شريكا في الدعاء لا في البناء، وهذا التأويل ضعيف لأن قوله:(تقبل منا) ليس فيه ما يدل على أنه تعالى ماذا يقبل فوجب صرفه إلى المذكور السابق وهو رفع البيت فإذا لم

يكن ذلك من فعله كيف يدعو الله بأن يتقبله منه، فإذن هذا القول على خلاف ظاهر القرآن فوجب رده. (١)

وعلي ذلك فالعطف يقتضي المشاركة في الفعل السابق، وهو رفع القواعد من البيت فيكون إسماعيل –عليه السلام– مشاركاً لوالده إبراهيم –عليه السلام– وهذا هو الثابت؛ لأن إبراهيم –عليه السلام– تولى عملية البناء و إسماعيل –عليه السلام– يناوله الحجارة في صح العطف وثبتت مشاركة إسماعيل –عليه السلام–

في قوله تعالي:(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ).

يقول العلامة محمد الأمين الهرري:(وَإِذْ بَوَّأْنَا...): واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يصدون عن سبيل الله وعن دخول المسجد الحرام، إذ بوأنا وبيَّنا لإبراهيم الخليل عليه السلام مكان البيت؛ أي: أذكر لهم الوقت الذي بينا فيه لإبراهيم مكان البيت، وأريناه أصله وأساسه ليبنيه، وكان البيت (٢) قد درس بالطوفان، فلما جاءت مدة إبراهيم عليه السلام.. أمره الله ببنائه، فجاء إلى موضعه، وجعل يطلب أثرًا، فبعث الله له ريحًا هفافةً، فكشفت عن أساس آدم، فرتب قواعده عليه. وقيل: بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت، فقامت بحيال البيت، وفيها رأس يتكلم: يا إبراهيم! ابن على دوري فبنى عليه.

وكانت الأنبياء بعد رفعه يحجون مكانه، ولا يعلمونه حتى بوأه الله وبينه لإبراهيم، فبناه على أساس آدم، وجعل طوله في السماء سبعة أذرع بذراعهم، وذرعه في الأرض ثلاثين ذراعًا بذراعهم، وأدخل الحجر في البيت، ولم يجعل له سقفًا، وجعل له بابًا، وحفر له بئرًا، يلقى فيها ما يهدى للبيت، وبناه قبله شيث، وقبل شيث آدم، وقبل آدم الملائكة، ثم بعد إبراهيم بنته قريش، وكان

١)– ينظر:مفاتيح الغيب (٥١/٤). للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

بناؤه هذه المرة قبل المبعث بخمس عشرة سنة، ثم بناه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ثم بناه الحجاج، وهو البناء الموجود الآن. [١]

وفيما يلي يقول الإمام الآلوسي –رحمه الله– (والمراد بالبيت بيت الله – عز وجل– الكعبة المكرمة، وقد بنيت خمس مرات، إحداها بناء الملائكة عليهم السلام قبل آدم وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفع ذلك البناء إلى السماء أيام الطوفان، والثانية بناء إبراهيم عليه السلام. روي أنه تعالى لما أمره ببناء البيت لم يدر أين يبني فأرسل الله تعالى له الريح الخجوج فكشفت عن أسه القديم فبنى عليه، والثالثة بناء قريش في الجاهلية، وقد حضره النبي صلّى الله عليه وسلّم وكان شابا فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فأراد كل قبيلة أن يتولى رفعه ثم توافقوا على أن يحكم بينهم أول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أول من خرج فقضى بينهم أن يجعلوه في مرط ثم يرفعه جميع القبائل فرفعوه ثم ارتقى صلّى الله عليه وسلّم فرفعوه إليه فوضعه مكانه وكانوا يدعونه عليه السلام الأمين وكان ذلك قبل المبعث فيما قيل بخمس عشرة سنة، والرابعة بناء عبدالله بن الزبير، والخامسة بناء الحجاج وهو البناء الموجود اليوم وارتفاعها في السماء سبعة وعشرون ذراعا وربع ذراع والذراع أربع وعشرون إصبعا والإصبع ست شعيرات والشعيرة ست شعرات من شعر البرذون: وأما طوها في الأرض فمن الركن اليماني إلى الركن الأسود خمسة وعشرون ذراعا وكذا ما بين اليماني والغربي، وأما عرضها فهو من الركن اليماني إلى الركن الأسود عشرون ذراعا، وطول الباب ستة أذرع وعشرة أصابع، وعرضه أربعة أذرع والباب في جدارها الشرقي وهو من خشب الساج مضبّب بالصفائح من الفضة، وارتفاع ما تحت عتبة الباب من الأرض أربعة أذرع وثلاث أصابع، والميزاب في وسط جدار الحجر. وعرض الملزم وهو ما بين الباب والحجر الأسود أربعة أذرع، وارتفاع الحجر

[١]– ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي (٣٠٥/١٨).. دار طوق النجاة، بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

الأسود من الأرض ثلاثة أذرع إلا سبعا، وعرض القدر الذي بدر منه شبر وأربع أصابع مضمومة، وعرض المستجاد وهو بين الركن اليماني إلى الباب المسدود في ظهر الكعبة مقابلا للملتزم أربعة أذرع وخمس أصابع، وعرض الباب المسدود ثلاثة أذرع ونصف ذراع وطوله أكثر من خمسة أذرع، وأما الحجر ويسمى الحطيم والحظيرة فعلى هيئة نصف دائرة من صوب الشام والشمال بين الركن العراقي والشامي. وحده من جدار الكعبة الذي تحت الميزاب إلى جدار الحجر سبعة عشر ذرعا وثماني أصابع منها سبعة أذرع أو ستة وشبر من أرض الكعبة، والباقي كان زر بالغنم سيدنا إسماعيل عليه السلام فأدخلوه في الحجر، وما بين بابي الحجر عشرون ذراعا، وعرض جدار الحجر ذراعان، وذرع تدوير جدار الحجر من داخله ثمانية وثلاثون ذراعا ومن خارجه أربعون ذراعا وست أصابع، وارتفاع جدار الحجر ذراعان فذرع الطوق وحده حول الكعبة، والحجر مائة ذراع وثلاثة وعشرون ذراعا واثنتا عشرة أصبعا، وهذا على ما ذكره الإمام حسين بن محمد الآمدي في رسالة له في ذلك والعهدة عليه، وإنا لنرجو من رب البيت أن يوفقنا لزيارة بيته وتحقيق ذلك بلطفه وكرمه) [١]

لقد توقفت كثيرا قبل نقل هذا الكلام عن وصف الكعبة المشرفة فلما رأيت الإمام الآلوسي –رحمه الله– قد نقله عن الإمام حسين بن محمد الأمدي وقال بعد نقله والعهدة عليها.

قلت: وعلى ذلك فالاهتمام بالكعبة المشرفة ووصفها هذا الوصف الدقيق الذي لم يوصف به بيت على وجه الأرض يدل على تعظيمها في نفوس الناس واهتمامهم لشأنها، زادها الله تشريفاً وتكريماً ومهابة وبراً في نفوس جميع الناس.

[١]– ينظر:روح المعاني (١٣٥/٩ وما بعدها). للإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ. تحقيق: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

بناء الكعبة الشريفة

عن بناء الكعبة الشريفة يقول العلامة سميح عاطف: (لقد شاء الله –سبحانه وتعالى– أن يحمل نبي الله إبراهيم –عليه السلام– وابنه إسماعيل –عليه السلام– وأمه هاجر إلى وادي غير ذي زرع، ولكن هذا الوادي الذي كان، قبل سنين عديدة مكاناً مقرفاً في جوف الصحراء، نجده الآن يضق بالحياة وتدفق في أنحاء كل مظاهر العيش التي كانت سائدة في ذلك الزمن، من رعى وقبليّة، وغير ذلك مما كان يساعد إنسان ذلك الوقت على الحفاظ على بقائه والاستمرار في وجوده على الأرض

وإذا كانت هجرة إبراهيم –عليه السلام– بأهل هذا الوادي هي السبب الذي أدى إلى إنبات الحياة في فإن الغاية من ذلك تظهر عندما يعود إبراهيم –عليه السلام– إنفاذاً لأمر ربه لكي يعيد بناء البيت العتيق الذي تهدم وعفّي عليه الزمان وفي نفس المكان الذي بناه فيه آدم –عليه السلام– يكون أول بيت وضع للناس بمكة و يصلي فيه الإنسان و يحج إليهن عبادة وزلفي لرب العالمين فقد هبط ادم عليه السلام وأقام البيت لأول مره وقيل لما رآه مستوياً أمامه راح يطوف حوله عبادة لله مثلما تطوف الملائكة حول البيت المعمور تسبيحا وتكبيرا فحفت الرحمة بمكان وجوده لأنه أول بيت يعبد فيه الله عز وجل على الأرض.

ثم لما طال العهد بهذا البيت ضاع منه الأثر وخفيت معالمه فشاء الله تبارك أن يعيد أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام بناء البيت العتيق وعلى نفس الأسس والقواعد التي بناه عليها أبو البشرية ادم عليه السلام

أما الصلة في ذلك فهي أن الأنبياء هم المكلفون بحمل رسالات الله ونشرها في الأرض بل وفي كل مكان يبعثون فيه في هذا الكون الفسيح الذي مازال إنسان الارض يجهل وجود مخلوقات مماثلة له أو غير مماثلة في أرجاء ذلك الكون...،

وأن تلك الرسالات والدعوات التي يحملها الأنبياء لتنبثق من مشكاة واحدة وتعمل في اتجاه واحد، هو الاتجاه الصاعد إلى مرضات الله تعالى وما كان عمل نبي من الأنبياء يصدم بعمل نبي آخر أو يعارضه بالجهود النبوية تتناسق وتتكامل ليتم بعضها بعضاً ولذلك يكون عمل إبراهيم –عليه السلام– مكملاً لعمل ادم عليه السلام في إعادة بناء البيت الحرام ليظل المحجة للمسلمين على صدى الأزمان والدهور، لان الدين عند الله الاسلام "ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه"

ويأتى إبراهيم عليه السلام لزيارة إسماعيل –عليه السلام– في مكة ويطلعه على ما عهد به إليهما ربهما بقوله تعالي (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)

وتطيب نفس إسماعيل لهذا التكليف من لدن العزيز الحكيم حتى يستوي بيته الحرام من جديد كعبة مشرفة ومثابة للناس وأمناً كما يشاء سبحانه لعباده المخلصين ويندفع إسماعيل مع أبيه في العمل يرفعان القواعد من البيت ويدعوان الله تعالى أن يتقبل عملهما بهذا الدعاء القرآني: (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم).

ويشاء صاحب الأمر والنهي ربنا تبارك وتعالى في تكليفه للنبيين أن تتظافر جهود "إبراهيم الشيخ" مع جهود "إسماعيل الشاب" لكي تكون الشيخوخة الحكيمة والشباب الدافق متعاونين على تنفيذ الأمر الرباني، والعمل الإنساني على حد سواء فلا تركن الحكمة إلى السكون ولا تضيع الطاقة هدراً بل تعملان كالبنيان المرصوص تشدان ازر بعضهما بعض في سبيل إعلاء كلمة الله ومن أجل مصلحة عباده

فهلا رأيناكم يعلمنا القصص القرآني من عظات بالغات تشع أنوارها لترصع هام الإنسانية بكل ما هو حق وعدل ما وهكذا بني إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام– الكعبة فارتفعت حجارتها واستوى مقامها التي تتجلى فيه طمأنينة قلب آدم وحلم إبراهيم وصبر إسماعيل –عليهم السلام –

فلا يكاد أحد يدخل المسجد الحرام إلا وتتدفق المشاعر في داخله بالأمن والأمان وتفيض في أعضاء بدنه خوالج السلام والاطمئنان، يستشف الداخل ذاته وترتد إليه نفسه مهما طال به الضياع في سابق أيامه، يدور حول الكعبة مثل الذرات وهي تلتف حول النواة في سلام عظيم واستسلام رباني كريم يملأن المكان والزمان، ويجعلان ذلك الإنسان جزءاً من هذا المكان والزمان لائقاً بان يكون في الزمرة المصطفاة التي ارتضاها الرحمن

وإذ يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد، كانا يطوفان بناظريهما في أنحاء السماء ويدعوان الله أن يتقبل عملهم ويجعله خالصاً لوجه الكريم، ويطوى تاريخ الإنسان والزمان ويتهدم البيت الحرام مرات عدة، لكن بناءه يعاد، وعلى نفس الأساس الذي صنعه إبراهيم –عليه السلام –وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أمرين هامين:

قدرة الباني ونبوغه في التصميم ومن ثم أن يبقى البيت هوهو، لا يعتريه تبديل ولا تغيير لأنه ليس كباقي البيوت.

صحيح إن جهد إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام– كان يقتضي أعداداً من الرجال وكان عليهما الحفر في عمق الأرض وقطع الحجارة ونقلها، تم تسويتها ورصفها ولكنهم بشران غير عاديين، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، ولا نخال أحدا يعني في الوقت الذي استغرقه بناء الكعبة، تماماً كما يجهل كل باحث كم دام نوح عليه السلام في بناء السفينة، وذكر سفينة نوح في هذا السياق جميل ومفيد لأنها كانت أداة نجاة للمؤمنين السابقين المطيعين كما أن الكعبة ما تزال ملاذاً للناس ومثابة للعالمين وأمنا، فالكعبة إذن هي سفينة نوح الثابتة على الأرض أبدا، وهي تنتظر الراغبين في النجاة من هول الطوفان الذي يأكل النفوس ويقتل الضمائر،(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) البقرة١٢٨.

وليس دعاؤنا هذا إلا اطمئنانا لقلوبنا، وهو اطمئنان جدير بأن يوجد راحة النفس والضمير، وبأن يبعث فينا الأمن الذاتي، لأن إبراهيم النبي –عليه

السلام– وولوه إسماعيل الذي عايش تلك الأحداث قد توجها بالدعاء إلى الله – سبحانه وتعالى– أن يجعلهم مسلمين وهما الأكثر إنسانية والأقوى إسلاما، يعبدان الله ويقيمان بيته الحرام ثم يسألانه أن يتقبل منهما وأن يخرج من ذريتهما أمة مسلمة وغاية هذا الدعاء زيادة عن أنه كشف لاهتمامات القلب المؤمن– إنما هي إقامة لصرح العقيدة واعتباراً لكون الكعبة بيتا مقدسا لكل الناس ولكل الأجيال، علَّ الله أن يتقبل منهم التوبة، ويتوب عليهم....(وأرنا مناسكنا وتب علينا أنك أنت التواب الرحيم) البقرة128

إذن تتجاوز اهتمامات إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام– الزمن الذي يعيشان فيه ويرجوان مستقبلاً هاماً، هو مستقبل الأمة الإسلامية فلا يريان إلا الله وحده قادراً على بناء هذا المستقبل ولكن عن طريق الرسل والأنبياء لتصفو قلوب الناس للدعوة وليعيشوا حقا في رحاب الإيمان"..... ربنا بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم"(١)

ويتحقق الدعاء وتترى الأنبياء والرسل حتى يكون خاتمها، فيبعث الله محمد بن عبد الله –صلى الله عليه وسلم– يتلوا على الملأ الكتاب المبين، ويعلم الناس الحكمة، ويزكي العالم بالإسلام، ولكي تظل الدعوة إلى الإيمان قائمة، كان لابد من رمز هو برهانها، فلئن كان البيت الله الحرام منذ آدم، يدل على تلك الدعوة، فإن تعرضه للهدم قد يوهن النفوس الضعيفة بانقطاع تلك الدعوة، فكانت الآية الاستمرارية والديمومة، بل العلامة المميزة، حجرا حمله جبرائيل لإبراهيم – سلام الله عليهما– ليكون في مكانه المعين من البيت العتيق .

ومن ملامسة هذا الحجر، انطلق إبراهيم في طوافه حول الكعبة هو وابنه إسماعيل وبعد الطواف، وقفا أمام الحجر وقبلاه، فكانت قبلاتهما نموذجا

١)– البقرة: ١٢٩

لقبلات البشر أجمعين، فالشفاه تحنوا على ذلك الحجر المقدس تلثمه مبركة متطهرة .

ولكن ما الذي رمى إليه إبراهيم – عليه السلام– من طوافه وتقبيله؟! هل كان في نيته أن يجعل الناس على مر الأزمنة والدهور تتذكر فعله وبأنه بنى هذا البيت؟ حاشا لإبراهيم أن يكون له مثل هذه النية إنه يرنو إلى البعيد إلى تلك الأمم التي ولدت، والتي ستولد فيما بعد فيخاطبها بأفعاله قائلا:

ها هنا، وأمام هذا البيت جميع الناس يتساوون مساواة تامة، لا ميزة لأحد علي الآخر، فلا سيد ولا مسود، ولا غني ولا فقير، ولا حاكم ولا محكوم، لا فضل لعربي على أعجمي، كلكم خلق الله، وكلكم أمام المساواة التي أرادها الله، فلا فضل إلا لمن كان قلبه بالإيمان مفعما، وقام على العقيدة الصحيحة وسلك طريق القويم.

إذن، فالغاية جليلة، وليس هوى الأفئدة إلى ذلك المقام عبثا، بل إشعارا للإنسانية وحثا لهم على نشر العدل والمحبة في أرجاء الأرض كلها.

إنه هوىٌ أفئدة إبراهيم لكل من يزور المسجد فيعود إلى بلده وأهله وفي نفسه مشاعر لم يعرفها من قبل، إنها مشاعر الإنسانية في سموها، وفي تطلعها نحو المثل الأعلى حتى إذا أحسن أن تلك المشاعر لم تفعل فعلها كان أمامه المزار ثانية، يغتسل بالماء الطاهر، فيتطهر جسمه ويشرب منه فتذهب أدران نفسه، وتكون الحياة الكريمة على الأرض لائقة به حقا، وكذلك في السماء. [١]

[١]– ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، قصص الأنبياء في القرآن الكريم للعلامة/ سميح عاطف الزين.ط: دار الكتاب اللبناني– الرابعة (١٤٠٨هـ–١٩٨٨م).

نستخلص من ذلك أن:

١- الصحيح أن إسماعيل كان مشاركاً لأبيه ابراهيم -عليهما السلام- في بناء البيت الحرام.

٢- الكعبة بنيت على مر التاريخ خمس مرات أخرها بناء الحجاج بن يوسف الثقفي وهو البناء الموجود الآن.

٣ - الوصف الدقيق المذكور أنفاً للكعبة المشرفة يدل على مدى اهتمام وتقدير المسلمين لهذا البيت المعظم.

المطلب الثاني:

فضائل المسجد الحرام

لا يوجد على وجه البسيطة بيت له قدسية وعظمة وشرف كما للمسجد الحرام، حيث نسبه الله إليه، وبناه خليله، وجعله أمنا وأمانا، وارتبط به بعض أركان الإسلام كالحج والصلاة.

وحسب البيت شرفًا وفضلًا أنه حرمٌ آمن ومثابة للناس ومبارك وهدى للعالمين، وما جاء عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حرمته وفضله من أنه لا يسفك فيه دم، ولا يعضد شجره، ولا يختلى خلاه – لا يقطع نباته – وأنَّ قصده مكفر للذنوب ماح للخطايا، وأن العبادة التي تؤدى فيه لا تؤدى في غيره، وأن استلام الحجر الأسود، فيه رمز إلى مبايعة الله تعالى على إقامة دينه، والإخلاص له وأن الصلاة فيه بمائة ألف ضعف في غيره، إلى غير ذلك من الفضائل التي سجلها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. [١]

ومن هذه الفضائل:

المسجد الحرام أول بيت وضع في الأرض للعبادة.

قال تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) [٢]

سبب نزول الآيات:

أخرج ابن المنذر وغيره عن ابن جريج قال: بلغنا أن اليهود قالت: بيت المقدس أعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء ولأنه في الأرض المقدسة، فقال

---

[١]- ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان (٢٢/٥) بتصرف يسير.

٢)- آل عمران: ٩٦.

المسلمون: بل الكعبة أعظم فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلم فنزلت إلى مقام إبراهيم. [١]

وأخرج سعيد بن منصور عن عكرمة قال لما نزلت ومن يبتغ غير الإسلام دينا [٨٥] الآية قالت اليهود فنحن مسلمون فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم إن الله فرض على المسلمين حج البيت فقالوا لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا فأنزل الله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين. [٢]

المراد بالأولية في الآية الكريمة:

يقول الإمام الماوردي: لا اختلاف بين أهل التفسير أنه أول بيت وضع للعبادة، وإنما اختلفوا هل كان أول بيت وضع لغيرها على قولين: أحدهما: أنه قد كانت قَبْله بيوت كثيرة، وهو قول الحسن. والثاني: أنه لم يوضع قبله بيت، وهذا قول مجاهد، وقتادة. [٣]

والمراد بالأولية فيما ذكره الإمام الماوردي هي أولية الزمان.

قال الشيخ السايس-رحمه الله-: "أوّلية البيت قيل: أولية شرف، وقيل: أولية زمان، ولا مانع من أن يكون كل منهما مرادا، فقد مرّ أن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان بنيا البيت المحرّم للعبادة، ثم جاء سليمان وبنى بيت المقدس، فالأولية زمانية، وهي تستلزم أولية الشرف.

---

[١]- ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ. (٢٢١/٢) تحقيق: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية – بيروت –الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

[٢]- ينظر: لباب النقول في أسباب النزول للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ (ص٤٤).ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي.الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

[٣]- ينظر: النكت والعيون للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ (٤١٠/١) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم . دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنه أول بيت وضع على الأرض بالنسبة للبيوت مطلقا، فقالوا: إن الملائكة بنته قبل خلق آدم، وأن بيت المقدس بني بعده بأربعين سنة، روى البخاري من حديث أبي ذر قال: سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم عن أول بيت وضع للناس؟ فقال: «المسجد الحرام، ثم بيت المقدس» فقيل: كم بينهما؟ قال:«أربعون سنة»[١] [٢].

شبهة وردها:

وقد يقال: إنّ هناك تعارضا بين ما ذكرنا من أنّ بناء الكعبة كان قبل بناء بيت المقدس بعدة قرون، وأن الذي بناه إبراهيم، وبين ما روي من أن الذي وضعها الملائكة قبل بيت المقدس بأربعين سنة، وقد أجيب بأنّ الوضع غير البناء، وبأنه لعل الذي كان من إبراهيم وسليمان كان إعادة، ومعلوم أن بين إبراهيم وسليمان عدة قرون فلا منافاة. [٣]

الغرض من ذكر هذه الأولية:

يقول الإمام النيسابوري مبينا الغرض من هذه الأولية: " واعلم أن الغرض الأصلي من ذكر هذه الأوّلية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس. ولا تأثير لأولية البناء في هذا المقصود، وإن كان الأرجح ثبوت تلك الأولية"[٤]

---

١)- صحيح البخاري (٤/ ١٤٥) رقم ٣٣٦٦، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابٌ إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ.

٢)- ينظر: تفسير آيات الأحكام للشيخ / محمد علي السايس(١٩٤) المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

٣)- ينظر: المصدر السابق (١٩٥،١٩٤).

٤)- ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (٢١٢/٢) المحقق: الشيخ زكريا عميرات. دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

وفي هذه المسألة تفصيل ذكره صاحب خليل الرحمن، قال:

الرأي الأول:

ذكر بعض المفسرين أن المراد بالأولية هنا كونه أولاً في الوضع والبناء، ورووا في ذلك آثارا منها: أنه تعالى خلق هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرضين.

ومنها: أنه تعالى بعث ملائكة لبناء بيت في الأرض على مثال البيت المعمور وذلك قبل خلق آدم.

ومنها: أنه أول بيت وضع على وجه الماء عند خلق السموات والأرض، وأنه خلق قبل الأرض بألفي عام، وليس في هذه الآثار خبر صحيح.

قال ابن كثير: وزعم السدي أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقا.

أما الحديث الذي رواه البيهقي في بناء الكعبة في كتابه دلائل النبوة[١] من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا «بعث الله جبريل إلى آدم وحواء، فأمرهما ببناء الكعبة، فبناه آدم، ثم أمر بالطواف به، وقيل له: أنت أول الناس، وهذا أول بيت وضع للناس» فإنه كما ترى من مفردات ابن لهيعة وهو ضعيف. والأشبه، والله أعلم، أن يكون هذا موقوفا على عبد الله بن عمرو، ويكون من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب. [٢]

وقيل: أن آدم لما أَهْبِط إلى الأرض شكا الوحشةَ، فأمره الله – تعالى – ببناء الكعبةِ، وطاف بها وبقي ذلك إلى زمان نوح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا

---

١)– قال البيهقي: تفرد به ابن لهيعة هكذا مرفوعا. ينظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) (٢/ ٤٥) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ .

٢)– ينظر: تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٦٧/٢) المحقق: محمد حسين شمس الدين . دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت –الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ

أرسلَ اللهُ الطوفانَ، رفع البيت إلى السماء السابعة – حيال الكعبة – تتعبد عنده الملائكة، يدخله كلَّ يوم سبعون ألف مَلَك، سوى مَنْ دخل قبلُ فيه، ثم بعد الطوفان اندرس موضعُ الكعبةِ، وبقي مُخْتَفِياً إلى أن بعث الله جبريلَ إلى إبراهيم، ودلَّه على مكان البيت، وأمره بعمارته.

قال القاضي عياض معلقا على هذا الرأي: القول بأنه رُفِع – زمانَ الطوفان – إلى السماء بعيد؛ لأن موضِعَ التشريف هو تلك الجهة المعينة، والجهة لا يمكن رفعها إلى السماء، ألا ترى أن الكعبة لو انهدمت – والعياذ بالله – ونُقِلت الحجارة بعد الانهدام، ويجب على كل مسلم أن يُصَلِّيَ إلى تلك الجهةِ بعينها، وإذا كان كذلك، فلا فائدة في رفع تلك الجدرانِ إلى السماء.

الرأي الثاني:

يرى جمهور المفسرين أن المراد بالأولية في الآية أن الكعبة هي أول مسجد بني للعبادة، وأن إبراهيم هو أول من بناها وقد استدلوا لذلك بما روي عن علي في قوله تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا قال: كانت البيوت قبلة، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله). أخرجه ابن أبي حاتم عن الشعبي عن علي[١].

وأخرج ابن كثير بسنده عن خالد بن عرعرة، قال: قام رجل إلى علي رضي الله عنه، فقال: ألا تحدثني عن البيت، أهو أول بيت وضع في الأرض؟ قال: لا، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا[٢].

---

١)- تفسير القرآن العظيم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، (٣/ ٧٠٧)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ.
٣٨٢٧ – حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ، ثنا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ثنا شَرِيكٌ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ، فِي قَوْلِهِ {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا} [آل عمران: ٩٦] قَالَ: كَانَتِ الْبُيُوتُ قَبْلَهُ، وَلَكِنْ كَانَ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ
٢)- ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٢) .

واستدلوا أيضا بما رواه البخاري بسنده من حديث أبي ذر قال: سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم عن أول بيت وضع للناس؟ فقال: «المسجد الحرام، ثم بيت المقدس» فقيل: كم بينهما؟ قال :«أربعون سنة»، ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فإن الفضل فيه. [١]

وقد علق ابن حجر على هذا الحديث فقال: وَهَذَا الْحَدِيث يُفَسِّر الْمُرَاد بِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ) وَيَدُلّ عَلَى أَنَّ الْمُرَاد بِالْبَيْتِ بَيْت الْعِبَادَة لَا مُطْلَق الْبُيُوت، وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ صَرِيحًا عَنْ عَلِيّ. [٢]

وقد ذهب إلى هذا الرأي الطبري وابن كثير والقاسمي وصاحب المنار، والمتبادر أنها أولية الزمان بالنسبة إلى بيوت العبادة الصحيحة التي بناها الأنبياء، فليس في الأرض موضع بناه الأنبياء أقدم منه فيما يعرف في تاريخهم ومما يؤثر عنهم، وهذا يستلزم الأولية في الشرف وكذا يفهم من كلام الآلوسي أنه يرجح هذا الرأي لأنه ذكر أدلته، ولم يذكر أدلة الرأي الآخر. ودر الروايات الواردة فيه بكلمة قيل.

ويرى الباحث أن الرأي الثاني هو الراجح؛ لأن هذه الآية تدل عليه، فقوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ) يربط هذا البيت بإبراهيم إذ يدل على أن الآيات الواضحات التي هي من قبيل الخوارق، والكائنة في هذا البيت هي مقام إبراهيم فلو كان أحد من الأنبياء بناه قبله لنوه القرآن بذكره كما نوه بذكر الخليل.

وقوله: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت...) يدل على أن الخليل إبراهيم هو أول من بنى البيت الحرام وأنه لم يكن قد بني من قبله، لأن رفع قواعد البيت معناه وضع أساسه لأول مرة، وأيضا قوله: (وإذ بوأنا...) يدل

[١]- صحيح البخاري (٤/ ١٤٥) رقم ٣٣٦٦، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابٌ إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ.

[٢]- ينظر: فتح الباري (١٠/١٤٨).

على أنه –عز وجل– مكن خليله من مكان البيت الحرام ودله عليه وأمره ببنائه، وأن يطهره للطائفين والقائمين والركع السجود.

ولم يرو عن النبي في هذه المسألة إلا حديث أبي ذر، ولذلك كانت الآراء التي تقول إن أول من بنى البيت هم الملائكة أو آدم أو أنه خلق قبل خلق الأرض، لا تستند إلى دليل صحيح من القرآن أو من صحيح السنة، غير أنه من الجائز أن تكون هذه البقعة التي بني عليها البيت الحرام كانت معروفة الشرف والمنزلة لدى من سبق إبراهيم من الأنبياء. [١]

معنى كونه موضوعا للناس:

في هذا المعنى يقول العلامة النيسابوري ما نصه: ومعنى كونه موضوعا للناس أنه جعل متعبدهم وموضع طاعتهم يتوجهون نحوه من جميع الأقطار، وليس كل أول يقتضي أن يكون له ثان فضلا أن يشاركه في جميع خواصه، فلا يلزم من كونه أول أن يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا في وجوب الحج والاستقبال وغيرهما من الخواص. [٢]

ولما ذكر الله في هذه الآية الكريمة أن البيت الحرام هو أول بيت وضع للناس ذكر المكان الذي وجد فيه فقال (لِلَّذِي بِبَكَّةَ مباركا).

الأقوال الواردة في بكة واشتقاقها:

يقول الإمام الماوردي: وفي {بَكَّة} ثلاثة أقاويل: أحدها: أن بكة المسجد، ومكة: الحرم كله، وهذا قول ابن شهاب، وضمرة بن ربيعة. والثاني: أن بكة هي مكة، وهو قول أبي عبيدة. والثالث: أن بكة موضع البيت، ومكة غيره في الموضع يريد القرية، وروي ذلك عن مالك. وفي المأخوذ منه بكة قولان: أحدهما: أنه مأخوذ من الزحمة، يقال تَبَآك القوم بعضهم بعضاً إذا ازدحموا،

---

[١]– ينظر: حديث القرآن عن خليل الرحمن (٢٧٦–٢٧٩) تأليف/ أ.د/ عبد المنعم ممدوح الرماح. دار الإشعاع – الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

[٢]– ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٢/٢١١).

فبكة مُزْدَحَمُ الناس للطواف. والقول الثاني: أنها سميت بكة، لأنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة، إذ ألحدواْ فيها بظلم لم يمهلواْ. [١]

لما ذكر الله في هاتين الآيتين أن البيت الحرام أول بيت وضع للناس وتحدث عن مكان وجوده ذكر أيضا بعض فضائله فذكر منها:

(مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا....).

فضائل البيت الحرام المذكورة في الآيتين:

تحدث عن هذه الفضائل العلامة محمد الأمين الهرري في تفسيره قائلاً:

الأول منها ذكره بقوله: {مُبَارَكًا}؛ أي: حالة كونه ذا بركة، وخير كثير؛ لأنه قد أفيض عليه من بركات الأرض، وثمرات كل شيء مع كونه بواد غير ذي زرع، كما قال تعالى: {يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ}[٢] فترى الأقوات والثمار في مكة كثيرة جيدة، وأقل ثمنًا من كثير من البلاد ذوات الخيرات الوفيرة، كمصر والشام، وكل هذا ببركة دعوة إبراهيم عليه السلام: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي} الآية.

وذكر الثاني منها بقوله: {وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ}؛ أي: وحالة كونه هدى؛ أي: قبلة لكل نبي، ورسول وصديق، ومؤمن يهتدون بذلك البيت إلى جهة صلاتهم، ويولون وجوههم شطره في صلاتهم، وربما لا تمضي ساعة من ليل أو نهار إلّا وهناك ناس يتوجهون إليه، ويأتون إليه مشاة وركبانًا من كل فج عميق، لأداء المناسك الدينية من الحج والعمرة، ولا شك أنَّ هذه الهداية من أشرف أنواع الهدايات.

---

[١]- ينظر: النكت والعيون (١/٤١٠).

[٢]- القصص: ٥٧.

وذكر الثالث منها بقوله: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ}؛ أي: وحالة كونه فيه؛ أي: في ذلك البيت آيات بينات؛ أي: دلائل وعلامات واضحات تدل على حرمته، ومزيدفضله، وعظيم قدرته تعالى:

منها: {مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ}؛ أي: الحجر الذي يقوم عليه إبراهيم عند بناء البيت، وكان فيه أثر قدمي إبراهيم، فاندرس من كثرة المسح بالأيدي، وفيه دلالة على قدرة الله تعالى ونبوة إبراهيم؛ لأن تأثير قدميه في الصخرة الصماء، وغوصهما فيها إلى الكعبين، وإلانة بعض الصخرة دون بعض، وإبقاءها ألوفًا من الأعوام معجزةٌ عظيمة.

وذكر الرابع منها بقوله: {وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا}؛ أي: ومن دخل البيت كانآمنًا من ذنوبه.

وقيل: من دخل الحرم للنسك تقربًا إلى الله تعالى.. كان آمنًا من النار يوم القيامة، وإن الله أودع في قلوب الخلق الشفقة على كل من التجأ إليه. [١]

والخلاصة:

أولا: البيت الحرام هو أول بيت وضع للناس لعبادتهم والأولية في الزمان والشرف والقدر، وسيظل قبلة للمسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولو كره الكافرون.

ثانيا: تحدثت الآيتان عن مكانة وشرف المكان الذي هو فيه بشرف البيت نفسه.

ثالثا: ذكرت الآية بعض الفضائل لهذا البيت، وفي غيرها من الآيات فضائل أخرى.

[١]- ينظر: حدائق الروح والريحان للهرري (٥/١٧-٢١)بتصرف.

كون البيت الحرام أمنا وأمانا للناس جميعاً:

جعل الله للبيت الحرام في النفوس حرمة، وجعله أمنا وأمانا للناس جنيعا سواء العاكف فيه والباد، ببركة دعاء سيدنا إبراهيم، كما حكى القرآن

وبالنظر والتأمل في القرآن وجدت كثيرا من الآيات الكريمات تحدثت عن أمن وأمان البيت الحرام، منها: قوله تعالى: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [١]

وقوله تعالى: (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [٢].

وقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)[٣].

وقوله تعالى: (وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[٤].

وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ)[٥].

<u>يقول الإمام أبو حيان:</u>

لما رد على اليهود في إنكارهم التوجه إلى الكعبة، وكانت الكعبة بناء إبراهيم أبيهم، كانوا أحق بتعظيمها، لأنها من مآثر أبيهم.

---

[١]- البقرة ١٢٥.
[٢]- المائدة ٩٧.
[٣]- إبراهيم ٣٥
[٤]- القصص ٥٧.
[٥]- العنكبوت ٦٧.

ولوجه آخر من إظهار فضلها، وهو كونها مثابة للناس وأمنا، وأن فيها مقام إبراهيم، وأنه تعالى أوحى إليه وإلى ولده ببنائها وتطهيرها، وجعلها محلا للطائف والعاكف والراكع والساجد، وأمره بأن ينادي في الناس بحجها. والبيت هنا: الكعبة، على قول الجمهور.

وقيل: المراد البيت الحرام لا نفس الكعبة، لأنه وصفه بالأمن، وهذه صفة جميع الحرم، لا صفة الكعبة فقط. ويجوز إطلاق البيت، ويراد به كل الحرم. وأما الكعبة فلا تطلق إلا على البناء الذي يطاف به، ولا تطلق على كل الحرم.

وجعله آمنا، اختلفوا، هل ذلك في الدنيا أو في الآخرة؟ فمن قال: إنه في الدنيا، فقيل معناه: أن الناس كانوا يقتتلون، ويغير بعضهم على بعض حول مكة، وهي آمنة من ذلك، ويلقى الرجل قاتل أبيه فلا يهيجه، لأنه تعالى جعل لها في النفوس حرمة، وجعلها أمنا للناس والطير والوحش، إلا الخمس الفواسق، فخصصت من ذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما من أحدث حدثا خارج الحرم، ثم أتى الحرم، ففي أمنه من أن يهاج فيه خلاف مذكور في الفقه. وقيل معناه: إنه آمن لأهله، يسافر أحدهم الأماكن البعيدة، فلا يروعه أحد.

وقيل: معناه: إنه يؤمن من أن يحول الجبابرة بينه وبين من قصده. ومن قال هذا الأمن في الآخرة، قيل: من المكر عند الموت. وقيل: من عذاب النار. وقيل: من بخس ثواب من قصده، قال قوم: وهذا الأمن مختص بالبيت. وقيل: يشمل البيت والحرم. [١]

[١]- ينظر: البحر المحيط في التفسير (٥/٦٠٨-٦٠٩) بتصرف يسير.

وفي آية سور المائدة (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) يقول الإمام الرازي:

اعلم أن اتصال هذه الآية بما قبلها، هو أن الله تعالى حرم في الآية المتقدمة الاصطياد على المحرم، فبين أن الحرم كما أنه سبب لأمن الوحش والطير، فكذلك هو سبب لأمن الناس عن الآفات والمخافات، وسبب لحصول الخيرات والسعادات في الدنيا والآخرة، ثم قال–رحمه الله– بعد ذكر المناسبة ما نصه: "جعل" فيه قولان: الأول: أنه بين وحكم، الثاني: أنه صير، فالأول بالأمر والتعريف، والثاني بخلق الدواعي في قلوب الناس لتعظيمه والتقرب إليه، وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها، يقال للجارية إذا نتأ ثديها وخرج كاعب وكعاب، وكعب الإنسان يسمى كعبا لنتوه من الساق، فالكعبة لما ارتفع ذكرها في الدنيا واشتهر أمرها في العالم سميت بهذا الاسم، ولذلك فإنهم يقولون لمن عظم أمره فلان علا كعبه.

قوله (قياما للناس) أصله قوام لأنه من قام يقوم، وهو ما يستقيم به الأمر ويصلح، ثم ذكروا هاهنا في كون الكعبة سببا لقوام مصالح الناس وجوها: **الأول:** أن أهل مكة كانوا محتاجين إلى حضور أهل الآفاق عندهم ليشتروا منهم ما يحتاجون إليه طول السنة، فإن مكة بلدة ضيقة لا ضرع فيها ولا زرع، وقلمايوجد فيها ما يحتاجون إليه، فالله تعالى جعل الكعبة معظمة في القلوب حتى صار أهل الدنيا راغبين في زيارتها، فيسافرون إليها من كل فج عميق لأجل التجارة ويأتون بجميع المطالب والمشتهيات، فصار ذلك سببا لا سباغ النعم على أهل مكة.

الثاني: أن العرب كانوا يتقاتلون ويغيرون إلا في الحرم، فكان أهل الحرم آمنين على أنفسهم وعلى أموالهم حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو ابنه في الحرم لم يتعرض له، ولو جنى الرجل أعظم الجنايات ثم التجأ إلى الحرم لم يتعرض له ولهذا قال تعالى: (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس

من حولهم) [١].

الثالث: أن أهل مكة صاروا بسبب الكعبة أهل الله وخاصته وسادة الخلق إلى يوم القيامة وكل أحد يتقرب إليهم ويعظمهم.

الرابع: أنه تعالى جعل الكعبة قواما للناس في دينهم بسبب ما جعل فيها من المناسك العظيمة والطاعات الشريفة، وجعل تلك المناسك سببا لحط الخطيآت، ورفع الدرجات وكثرة الكرامات.

واعلم أنه لا يبعد حمل الآية على جميع هذه الوجوه، وذلك لأن قوام المعيشة إما بكثرة المنافع وهو الوجه الأول الذي ذكرناه، وإما بدفع المضار وهو الوجه الثاني، وإما بحصول الجاه والرياسة وهو الوجه الثالث، وإما بحصول الدين وهو الوجه الرابع، فلما كانت الكعبة سببا لحصول هذه الأقسام الأربعة، وثبت أن قوام المعيشة ليس إلا بهذه الأربعة ثبت أن الكعبة سبب لقوام الناس. [٢]

وفي آية سورة إبراهيم (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هاذا البلد آمنا) يقول الإمام الزمخشري:

هذا البلد (يعني البلد الحرام، زاده الله أمنا، وكفاه كل باغ وظالم، وأجاب فيه دعوة خليله إبراهيم –عليه السلام– "آمنا" ذا أمن. فإن قلت: أي فرق بين قوله: (اجعل هذا بلدا آمنا)، وبين قوله: (اجعل هذا البلد امنا)؟ قلت: قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي الثاني: أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد مخوف، فاجعله آمنا)[٣].

---

[١]– العنكبوت ٦٧.

[٢]– ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/٤٣٩–٤٤٠) بتصرف يسير.

[٣]– ينظر :الكشاف للزمخشري (٢/٥٢٣). للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

فالإمام الزمخشري قد ذكر الفرق في تعريف آية سورة إبراهيم وتنكير آية سورة البقرة، فالدعاء في آية البقرة كان قبل بناء البيت، والدعاء في آية إبراهيم كان بعد بناء البيت وعمارته.

وقد زاد الأمر وضوحا العلامة ابن جزي الكلبي في تفسيره حيث قال:

فإن قيل: لم قال في البقرة (بَلَداً آمِناً) فعرّف في إبراهيم [٣٥] ونكّر في البقرة؟ أجيب عن ذلك بثلاثة أجوبة:

الجواب الأوّل: قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير، وهو أنه تقدّم في البقرة ذكر البيت في قوله: (القواعد من البيت)، وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه، فلم يحتج إلى تعريف، بخلاف آية إبراهيم، فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به، فذكره بلام التعريف.

الجواب الثاني: قاله السهيلي: وهو أن النبي صلّى الله عليه واله وسلّم كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم، لأنها مكية فلذلك قال فيه: البلد بلام التعريف التي للحضور: كقولك: هذا الرجل، وهو حاضر، بخلاف آية البقرة، فإنها مدنية، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها، فلم يعرفها بلام الحضور، وفي هذا نظر لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة.

الجواب الثالث: قاله بعض المشارقة [وهو] أنه قال:هذا بلدا آمنا قبل أن يكون بلدا، فكأنه قال اجعل هذا الموضع بلدا آمنا، وقال: هذا البلد بعد ما صار بلدا. وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين، والظاهر أنه مرة واحدة.[١]

وقال العلامة ابن عاشور: خَرَجَ إبراهيم مِنْ بَلَدِهِ أُورَ الْكَلْدَانِيِّينَ إِنْكَارًا عَلَى عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ، فَقَالَ: (إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ)[٢]. وَقَالَ لِقَوْمِهِ:

[١]- ينظر:التسهيل لعلوم التنزيل(١/٩٧-٩٨).
[٢]- سُورَة الصافات: ٩٩.

(وَأَعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)[١]. فَلَمَّا مَرَّ بِمِصْرَ وَجَدَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ ثُمَّ دَخَلَ فِلَسْطِينَ فَوَجَدَهُمْ عَبْدَةَ أَصْنَامٍ، ثُمَّ جَاءَ عَرَبَةَ تِهَامَةَ فَأَسْكَنَ بِهَا زَوْجَهُ فَوَجَدَهَا خَالِيَةً وَوَجَدَ حَوْلَهَا جُرْهُمَ قَوْمًا عَلَى الْفِطْرَةِ وَالسَّذَاجَةِ فَأَسْكَنَ بِهَا هَاجَرَ وَابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ-. ثُمَّ أَقَامَ هُنَالِكَ مَعْلَمَ التَّوْحِيدِ. وَهُوَ بَيْتُ اللَّهِ الْكَعْبَةُ بَنَاهُ هُوَ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ، وَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ مَأْوَى التَّوْحِيدِ، وَأَقَامَ ابْنُهُ هُنَالِكَ لِيَكُونَ دَاعِيَةً لِلتَّوْحِيدِ. فَلَا جَرَمَ سَأَلَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَلَدًا آمِنًا حَتَّى يَسْلَمَ سَاكِنُوهُ وَحَتَّى يَأْوِيَ إِلَيْهِمْ مَنْ إِذَا آوَى إِلَيْهِمْ لَقَّنُوهُ أُصُولَ التَّوْحِيدِ.

فالأقوال سالفة الذكر متقاربة، ومفادها أن إبراهيم عليه السلام قد دعا ربه لهذا البلد بالأمن والأمان سواء قبل كونه بلدا أو بعدما صار بلدا فتقبل الله دعاءه وأصبح أمنا وأمانا.

وفي آية سورة القصص:(وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [٢] يقول الإمام الطبري:

يقول تعالى ذكره: وقالت كفار قريش: إن نتبع الحقّ الذي جئتنا به معك، ونتبرأ من الأنداد والآلهة، يتخطفنا الناس من أرضنا بإجماع جميعهم على خلافنا وحربنا، يقول الله لنبيه: فقل: (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا) يقول: أو لم نوطئ لهم بلدا حرّمنا على الناس سفك الدماء فيه، ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء، وأمنا على أهله من أن يصيبهم بها غارة، أو قتل، أو سباء. [٣]

وفي التفسير المنير: أخبر الله تعالى عن شبهة المشركين في عدم إيمانهم بالنبي صلّى الله عليه وسلم، واعتذارهم بعذر واه، فقال:

---

١)- سُورَة مَرْيَم: ٤٨.

٢)- القصص: ٥٧.

٣)- ينظر: تفسير الطبري (٦٠١/١٩). جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(وَقالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا) أي قال المشركون:

نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى، وخالفنا ما حولنا من أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالأذى والمحاربة، ويتخطفونا أينما كنا، ويخرجونا من ديارنا.

فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله: تأمين الحرم: (أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا، وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) أي إن هذا الاعتذار كذب وباطل، لأن الله تعالى جعلهم في بلد أمين، وحرم آمن معظّم منذ وجد، فكيف يكون هذا الحرم آمنا لهم في حال كفرهم وشركهم، ولا يكون آمنا لهم إن أسلموا واتبعوا الحق؟

ومن خصائص الحرم المكي: أنه يحمل إليه من سائر الثمار في كل البلدان، كما تحمل إليه أصناف المتاجر والأمتعة، تفضلا بالرزق من عند الله، ولكن أكثرهم جهلة لا يفطنون لما فيه الخير والسعادة، ولا يتفكرون ليعلموا الأحق بالعبادة، ويقلعوا عن عبادة ما سواه. [١]

والمستفاد من الآية الكريمة أنها جاءت لترد شبهة هؤلاء المشركين في عدم إيمانهم لأنهم يخافون إن أسلموا أن يدخلوا في حروب مع أعداء الإسلام ويحدث لهم الخطف والسلب والنهب فرد المولى عليهم بأنه جعله حرما آمنا بخلاف البقاع الأخرى التي يحدث فيها الخطف والسلب والنهب، وذكرت الآية أيضا بعض خصائص الحرم وهو سعة الرزق من الله.

وفي آية سورة العنكبوت:(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ). يقول الإمام ابن كثير:

يقول تعالى ممتنا على قريش فيما أحلهم من حرمه الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد، ومن دخله كان آمنا فهم في أمن عظيم، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا، كما قال تعالى: (لإيلاف

[١]- ينظر:التفسير المنير للزحيلي(٢٠/١٣٤).

قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) [قريش: ١- ٤]. [١]

وفي أيسر التفاسير يقول الشيخ أبو بكر الجزائري: ألم ير أولئك المشركون الكافرون بنعمة الله في الإنجاء من الغرق نعمة أخرى وهي أن جعل الله تعالى لهم حرماً آمنا يسكنونه آمنين من غارات الأعداء وحروب الظالمين المعتدين، لا يعتدى عليهم في حرمهم ولا يظلمون في حين أن الناس من حولهم في أطراف جزيرتهم وأوساطها يتخطفون فتشّن عليهم الغارات ويقتلون ويؤسرون في كل وقت وحين، أليست هذه نعمة من أعظم النعم تستوجب شكرهم لله تعالى بعبادته وترك عبادة من سواه. ولذا قال تعالى عاتباً عليهم منددا بسلوكهم {أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ} أي بالشرك وعبادة الأصنام يصدقون ويعترفون {وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ} أي يجحدون إنعام ربهم عليهم فلا يشكرونه بعبادته وتوحيده فيها. [٢]

إلى غير ذلك من آيات كريمات تحدثت عن أمن وأمان البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا.

ونستخلص من ذلك ما يلي:

١- كثرة الآيات التي تحدثت عن أمن وأمان البيت الحرام تدل على عظم مكانته وارتفاع منزلته وعلو كعبه عند الله.

٢- البيت الحرام آمن من الغرق والحرق والهدم والتعرض له كما حدث مع أصحاب الفيل، وأمان لساكنيه ولمن جاء إليه من شتى البقاع حاجا أو معتمرا.

٣- استجابة الله لدعوة إبراهيم عليه السلام، فجعل البيت الحرام أمنا وأمانا إلى يوم القيامة.

---

[١]- ينظر :تفسير ابن كثير(٦/٢٦٥).

[٢]- ينظر :أيسر التفاسير(٤/١٥٥).

المبحث الثاني

تحريم صد قاصدي المسجد الحرام من الدخول إليه.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الاول:

وعيد الصادين والملحدين بعذاب أليم.

المطلب الثاني:

تحريم التعرض لأي شئ له علاقة بالحرم.

المطلب الثالث:

التصريح بعذاب الصادين عن المسجد الحرام بعد انتفاء العذر عنهم.

المطلب الأول:

وعيد الصادين والملحدين بعذاب أليم.

لقد توعد المولى –تبارك وتعالى– الذين يصدون الناس عن زيارة بيته المحرم بهول اكيد وعذاب شديد في الايه الكريمه التي وعيد الصادين والملحدين بالعذاب الأليم هي في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)[١].

سبب نزول الآية:

قال الإمام ناظم الدين النيسابوري: عن ابن عباس أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب وأصحابه حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه عام الحديبية عن أن يحجوا ويعتمروا وينحروا الهدي. [٢]

وقال الإمام السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار فافتخروا في الأنساب فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام وهرب إلى مكة فنزلت فيه ومن يرد فيه بإلحاد بظلم الآية. [٣]

يقول الشيخ إسماعيل حقي في قوله تعالى:(إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله...) أي يمنعون الناس عن طاعة الله والدخول فى دينه، والمراد بصيغة المضارع الاستمرار لا الحال والاستقبال، كأنه قيل: إن الذين كفروا ومن شأنهم الصد عن سبيل الله، ومثله قوله تعالى { الذين آمنوا وتطمئن

---

[١]– الحج: ٢٥.

[٢]– ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (٧٥/٥).

[٣]– ينظر: لباب النقول (ص١٣٥).

قلوبهم بذكر الله } { والمسجد الحرام } عطف على سبيل الله والمراد به مكة أو يمنعون المؤمنين عن طواف المسجد الحرام المحترم من كل وجه، فلا يصاد صيده، ولا يقطع شوكه، ولا يسفك فيه الدماء. [١]

فالآية الكريمة تحدثت عن هؤلاء الذين كفروا في أنفسهم وذكرت أنهم صدوا غيرهم عن أمرين هما: سبيل الله و بيت الله الحرام الذي جعله لجميع الناس سواء العاكف فيه والقادم إليه من أي مكان من بلاد الله فاذا فعلوا ذلك فلابد وان يعاقبوا فتحدث الايه عن جزاء هؤلاء وتوعدتهم بعذاب مؤلم .

واختلفوا في العاكف والباد في أي شيء يستويان؟ حول هذا الاختلاف يقول العلامة نظام الدين النيسابوري: واختلفوا في أن المكي والآفاقي يستويان في أي شيء. فعن ابن عباس في بعض الروايات أنهما يستويان في سكنى مكة والنزول بها للآية بناء على أن المراد بالمسجد الحرام مكة، وإلى هذا ذهب أبو حنيفة وهو قول قتادة وسعيد بن جبير أيضا، ولأجل ذلك زعموا أن كراء دور مكة حرام.

والأكثرون على أنهما مستويان في العبادة في المسجد ليس للمقيم أن يمنع البادي وبالعكس، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم «يا بني عبد مناف من ولي منكم من أمور الناس شيئا فلا يمنعن أحدا طاف بهذا البيت أو صلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار» [٢].

وعلى هذا فلا منع من بيع دور مكة وإجارتها، وهو مذهب الشافعي وقد جرت المناظرة بينه وبين إسحق الحنظلي وكان إسحق لا يرخص في كراء دور

---

[١]- ينظر: روح البيان لإسماعيل حقي (١٤/٦).

٢)- سنن ابن ماجه (١/ ٣٩٨) رقم ١٢٥٤، كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّخْصَةِ فِي الصَّلَاةِ بِمَكَّةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، الناشر:دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وقال المحقق: حديث صحيح.

مكة فاحتج الشافعي بقوله تعالى:(الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ)[١]، وبأن عمر اشترى دار السجن فسكت إسحق.

وإنما ذهب الأولون إلى أن المراد بالمسجد الحرام ها هنا مكة كلها، لأنه جعل العاكف فيه بإزاء البادي.

أجاب الأكثرون بأنه أراد بالعكف في المجاور للمسجد المتمكن في كل وقت من التعبد فيه. [٢]

أقوال المفسرين في المراد بالإلحاد في البيت الحرام:

اختلاف أقوال المفسرين في المراد بالإلحاد في الحرم على أقوال ذكرها الإمام الرازي– رحمه الله– في تفسيره فقال (وذكر المفسرون في تفسير الإلحاد وجوها: أحدها: أنه الشرك، يعني من لجأ إلى حرم الله ليشرك به عذبه الله تعالى، وهو إحدى الروايات عن ابن عباس وقول عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير وقتادة ومقاتل. وثانيها: قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في عبد الله بن سعد حيث استسلمه النبي صلى الله عليه وسلم فارتد مشركا، وفي قيس بن ضبابة. وقال مقاتل: نزلت في عبد الله بن خطل حين قتل الأنصاري وهرب إلى مكة كافرا، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح كافرا. وثالثها: قتل ما نهى الله تعالى عنه من الصيد. ورابعها: دخول مكة بغير إحرام وارتكاب ما لا يحل للمحرم. وخامسها: أنه الاحتكار عن مجاهد وسعيد بن جبير. وسادسها: المنع من عمارته. وسابعها: عن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله. وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، فقيل له فقال: كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله.

---

[١]– الحج: ٤٠.

[٢]– ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧٥/٥ وما بعدها).

وثامنها: وهو قول المحققين: أن الإلحاد بظلم عام في كل المعاصي، لأن كل ذلك صغر أم كبر يكون هناك أعظم منه في سائر البقاع حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه: لو أن رجلا بعدن هم بأن يعمل سيئة عند البيت أذاقه الله عذابا أليما. وقال مجاهد: تضاعف السيئات فيه كما تضاعف الحسنات، فإن قيل كيف يقال ذلك مع أن قوله: نذقه من عذاب أليم غير لائق بكل المعاصي قلنا لا نسلم، فإن كل عذاب يكون أليما، إلا أنه تختلف مراتبه على حسب اختلاف المعصية. [١] **هل الوعيد بالعذاب الأليم في هذه الآية على مجرد إرادة الإلحاد؟ وهل هذا في الدنيا أم في الأخرة؟**

قال الإمام الألوسي: والظاهر أن الوعيد على إرادة ذلك مطلقا فيفيد أن من أراد سيئة في مكة ولم يعملها يحاسب على مجرد الإرادة وهو قول ابن مسعود وعكرمة وأبي الحجاج.

وقال الخفاجي: الوعيد على الإرادة المقارنة للفعل لا على مجرد الإرادة لكن في التعبير بها إشارة إلى مضاعفة السيئات هناك والإرادة المصممة مما يؤاخذ عليها أيضا وإن قيل إنها ليست كبيرة وقد روي عن مالك كراهة المجاورة بمكة انتهى وإلى مضاعفة السيئة في مكة ذهب مجاهد فقد أخرج عنه ابن المنذر وغيره أنه قال: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقال رحمه الله تعالى سألت ابن عمر وكان منزله في الحل ومسجده في الحرم لم تفعل هذا فقال: لأن العمل في الحرم أفضل والخطيئة فيه أعظم فينبغي لمن كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد في جميع ما يهم به ويقصده. والظاهر أن هذه الإذاقة في الآخرة وقيل كان قبل أن يستحله أهله تعجل العقوبة في الدنيا لمن قصده بسوء. [٢]

[١]- ينظر: مفاتيح الغيب (٢١٧/٢٣ وما بعدها).
[٢]- ينظر: روح المعاني للألوسي (١٤٠/١٧ وما بعدها).

نستخلص من هذه الآيه الكريمة:

١-أن الله – سبحانه وتعالى – توعد هؤلاء الكافرين الذين يصدون أنفسهم عن الدين و يمنعون الناس من الدخول فيه ويحولون بين الناس وبين دخول مكة لأداء النسك بالعذاب المؤلم يوم القيامة.

٢- أنه توعد بذلك العذاب لمن يرتكب أي معصية داخل الحرم.

وكما تحدثت الآية سالفة الذكر عن جماعة من الكافرين الذين يصدون عن سبيل الله وعن دخول الناس إلى المسجد الحرام لأداء الشعائر وتحدثت عن وعيدهم فهناك أيه أخرى تتحدث عن كفار مكة وصدهم للرسول صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام لأداء العمرة عام الحديبية ومنعهم الهدى من الوصول إلى محله وهو مكة ولولا رحمة الله رحمه الله بهم ووجود رجال مؤمنون ونساء مؤمنات في مكة لم يعلموهم لعُجل لهم العذاب، هذه الايه الكريمة في قوله تعالى:(هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [١].

حول هذه الأيه الكريمة يقول العلامة ابن عطية:(يريد بقوله تعالى " هم الذين كفروا " أهل مكة الذين تقدم ذكرهم

وقوله " وصدوكم عن المسجد الحرام " هو منعهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من العمرة عام الحديبية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة في ذي القعدة سنة ست من الهجرة يريد العمرة وتعظيم البيت وخرج معه بمائة بدنة قاله النقاش وقيل بسبعين قاله المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم فلما دنا من مكة قال اهل مكة هذا محمد الذي قد حاربنا

[١]- الفتح: ٢٥.

وقتل فينا يريد ان يدخل مكة مراغمة لنا والله لا تركناه حتى نموت دون ذلك فاجتمعوا لحربه واستنجدوا بقبائل من العرب وهم الأحابيش وبعثوا فغوروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المياه التي تقرب من مكة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل على بئر الحديبية وحينئذ وضع سهمه في الماء فجرى غمرا حتى كفى الجيش ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى مكة عثمان وبعث أهل مكة إليه رجالا منهم عروة بن مسعود وبديل بن ورقاء وتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك أياما حتى سفر سهيل بن عمرو وبه انعقد الصلح على ان ينصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ويعتمر من العام القادم فهذا كان صدهم إياه.

وذكر الله تعالى العلة في ان صرف المسلمين ولم يمكنهم من دخول مكة في تلك الوجهة وهو انه كان بمكة مؤمنون من رجال ونساء خفي إيمانهم فلو استباح المسلمون بيضتها أهلكوا أولئك المؤمنين

قال قتادة فدفع الله عن المشركين ببركة أولئك المؤمنين وقد يدفع بالمؤمنين عن الكفار. [١]

يقول العلامة محمد الأمين الهرري: إنه تعالى بيَّن استحقاق كفّار مكة للعقوبة بثلاثة أشياء: كفرهم في أنفسهم، وصدِّ المؤمنين عن إتمام عمرتهم، وصدّ هديهم عن بلوغ المحلّ، فهم مع هذه الأفعال القبيحة كانوا يستحقّون أن يقاتلوا أو يقتلوا، إلا أنه تعالى كفّ أيدي كل فريق عن صاحبه، محافظة على ما في مكة من المؤمنين المستضعفين ليخرجوا منها، أو يدخلوها على وجه لا يكون فيه إيذاء من فيها من المؤمنين والمؤمنات، كما قال تعالى: {وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ}؛ أي: لم تعرفوهم أيّها المؤمنون بأعيانهم؛ لاختلاطهم بالمشركين،وقيل: لم تعلموا أنهم مؤمنون.

[١]- ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٢٠/٥ وما بعدها).

أي ولولا هؤلاء الذين يكتمون إيمانهم خيفة على أنفسهم، وهم بين أظهرهم.. لسلّطناكم عليهم، فقتلتموهم، وأبدتم خضراءهم، ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات من لا تعرفونهم حين القتل، ولو قتلتموهم للحقتكم المعرة والمشقة بما يلزمكم في قتلهم من كفارة وعيب.[١]

نستخلص من ذلك أن:

١- كفار مكة الذين صدوا المؤمنين عند دخول البيت استحقوا العقوبة العاجلة ولكن الله كف أيدي المؤمنين عنهم لوجود بعض المؤمنين والمؤمنات بينهم.

٢- أن المؤمنين لو تزيلوا وانفصلوا عن المشركين لعذاب الله المشركين عذابا أليما في الدنيا بالقتل والأسر وفي الاخره بالنار.

[١]- ينظر :تفسير حدائق الروح والريحان(٢٩٧/٢٧ وما بعدها).

المطلب الثاني:

تحريم التعرض لأي شئ له علاقة بالحرم.

لقد حرم الله تعالي بيته، كما حرم التعرض لأي شئ له علاقة بالحرم، هناك ايتان من القران الكريم تحدثتا عن هذا الموضوع وهما:

قوله تعالي:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [١].

وقوله تعالي:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [٢]

سبب نزول أية المائدة:

قال الإمام السيوطي –رحمه الله–:–أخرج ابن جرير عن عكرمة قال قدم الحطم بن هند البكري المدينة في عير له يحمل طعاما فباعه ثم دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه وأسلم فلما ولى خارجا نظر إليه فقال لمن عنده لقد دخل علي بوجه فاجر وولي بقفا غادر فلما قدم اليمامة ارتد عن الإسلام وخرج في عير له يحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة فلما سمع به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تهيأ للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقتطعوه في عيره فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية.

---

[١]– المائدة: ٢.

[٢]– التوبة: ٢٨.

أما قوله تعالى: "ولا يجرمنكم ... الآية أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نصد هؤلاء كما صدوا أصحابنا فأنزل الله ولا يجرمنكم... الآية.[١]

اختلاف المفسرين في المراد بشعائر الله:

حول قوله:(يأيها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله....) يقول الامام الرازي–رحمه الله– واختلف المفسرون في المراد بشعائر الله، وفيه قولان:

الأول: قوله لا تحلوا شعائر الله أي لا تخلوا بشيء من شعائر الله وفرائضه التي حدها لعباده وأوجبها عليهم، وعلى هذا القول فشعائر الله عام في جميع تكاليفه غير مخصوص بشيء معين، ويقرب منه قول الحسن: شعائر الله دين الله.

والثاني: أن المراد منه شيء خاص من التكاليف، وعلى هذا القول فذكروا وجوها:

الأول: المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في حال إحرامكم من الصيد.

والثاني: قال ابن عباس: إن المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا ويعظمون المشاعر وينحرون، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فأنزل الله تعالى: لا تحلوا شعائر الله.

الثالث: قال الفراء: كانت عامة العرب لا يرون الصفا والمروة من شعائر الحج ولا يطوفون بهما، فأنزل الله تعالى: لا تستحلوا ترك شيء من مناسك الحج وائتوا بجميعها على سبيل الكمال والتمام. **الرابع:** قال بعضهم : الشعائر هي الهدايا تطعن في أسنامها وتقلد ليعلم أنها هدي، وهو قول

[١]– ينظر :لباب النقول (ص٧٥).

أبي عبيدة قال: ويدل عليه قوله تعالى:والبدن جعلناها لكم من شعائر الله [الحج: ٣٦].

وهذا عندي ضعيف لأنه تعالى ذكر شعائر الله ثم عطف عليها الهدي، والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف عليه.

قوله تعالى: ولا الشهر الحرام أي لا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه.

ثم قال تعالى: ولا الهدي قال الواحدي: الهدي ما أهدي إلى بيت الله من ناقة أو بقرة أو شاة، واحدها هدية بتسكين الدال، ويقال أيضا هدية، وجمعها هدي. قال الشاعر:

حلفت برب مكة والمصلى... وأعناق الهدي مقلدات

ونظير هذه الآية قوله تعالى: (هديا بالغ الكعبة)[١]، وقوله: (والهدي معكوفا أن يبلغ محله)[٢].

ثم قال تعالى: ولا القلائد والقلائد جمع قلادة وهي التي تشد على عنق البعير وغيره وهي مشهورة. وفي التفسير وجوه: الأول: المراد منه الهدي ذوات القلائد، وعطفت على الهدي مبالغة في التوصية بها لأنها أشرف الهدي كقوله: (وجبريل وميكال)[٣] كأنه قيل: والقلائد منها خصوصا الثاني: أنه نهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى: ولا تحلوا قلائدها فضلا عن أن تحلوها، كما قال: (ولا يبدين زينتهن)[٤] فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواضعها. الثالث: قال بعضهم:

كانت العرب في الجاهلية مواظبين على المحاربة إلا في الأشهر الحرم، فمن وجد في غير هذه الأشهر الحرمأصيب منه، إلا أن يكون مشعرا بدنة

---

[١]- المائدة: ٩٥.
[٢]- الفتح: ٢٥.
[٣]- البقرة: ٩٨.
[٤]- النور: ٣١.

أو بقرة من لحاء شجر الحرم، أو محرما بعمرة إلى البيت، فحينئذ لا يتعرض له، فأمر الله المسلمين بتقرير هذا المعنى.

ثم قال: (ولا آمين البيت الحرام أي قوما قاصدين المسجد الحرام). [١]

هذه الأشياء المذكورة لما كان لها تعلق مباشر بالبيت حرم المولى عز وجل التعرض لها بأي شئ فيه مخالفة.

اختلفوا في القول بنسخ هذه الآية:

نقل هذا الاختلاف الامام الرازي–رحمه الله– في تفسيره فقال: اختلف الناس فقال بعضهم: هذه الآية منسوخة، لأن قوله: (لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام) يقتضي حرمة القتال في الشهر الحرام، وذلك منسوخ بقوله: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) [٢]

قوله ولا آمين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن المسجد الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا [البقرة: ٢٨] وهذا قول كثير من المفسرين كابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة. وقال الشعبي: لم ينسخ من سورة المائدة إلا هذه الآية. وقال قوم آخرون من المفسرين: هذه الآية غير منسوخة، وهؤلاء لهم طريقان:

الأول: أن الله تعالى أمرنا في هذه الآية أن لا نخيف من يقصد بيته من المسلمين، وحرم علينا أخذ الهدي من المهدين إذا كانوا مسلمين، والدليل عليه أول الآية وآخرها، أما أول الآية فهو قوله لا تحلوا شعائر الله وشعائر الله إنما تليق بنسك المسلمين وطاعاتهم لا بنسك الكفار، وأما آخر الآية فهو قوله يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وهذا إنما يليق بالمسلم لا بالكافر.

---

[١]– ينظر: مفاتيح الغيب (٢٨٠/١١ وما بعدها).

[٢]– التوبة: ٥.

الثاني:قال أبو مسلم الأصفهاني: المراد بالآية الكفار الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر ولزم المراد بقوله تعالى: فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا. [١]

سبب النزول لهذه الآية آنف الذكر أدى إلى الاستعانة على فهم المراد من الآية وبيان معناها فسبب النزول فرع المعنى والعلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ثم إن الصريح من الله تبارك وتعالى لجماعه المؤمنين بأنهم لا يحلو شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا آمين المسجد الحرام وان سبق ان صدهم المشركون عن دخوله فلا يعاملوا عدوهم بمثل معاملتهم.

ويقول العلامه السيد محمد رشيد رضا في هذه الاية (ولا يجرمنكم شنئان قوم...) قرأ ابن عامر وأبو بكر بن عاصم وإسماعيل عن نافع " شنآن " بسكون النون الأولى، والباقون بفتحها، وهما لغتان، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: " إن صدوكم " بكسر " إن " على أنها شرطية والباقون بفتحها على أنها للتعليل. وهذه القراءة تشير إلى صد المشركين المؤمنين عن العمرة عام الحديبية، وتنهاهم أن يعتدوا عليهم عام حجة الوداع الذي نزلت فيه السورة لأجل اعتدائهم السابق، والمعنى عليه: ولا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم على أن تعتدوا عليهم لأنهم صدوكم عن المسجد الحرام. ومعنى القراءة الأخرى أنه لا يباح للمسلمين أن يعتدوا على أعدائهم إن صدوهم عن المسجد الحرام، أي عن النسك فيه وزيارته، ولو للتجارة، واستشكل بأن هذا قد نزل بعد فتح مكة، ولم يكن يتوقع صد من أحد، وبأنه معارض لقوله: (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم)[٢]

[١]- ينظر: مفاتيح الغيب (٢٨١/١١).
[٢]- البقرة: ١٩١.

وأجيب بأن الشرط على معنى الماضي بتقدير الكون، أي: إن كانوا صدوكم عن المسجد الحرام، ويمكن أن يقال: إن ورود هذا بعد فتح مكة وظهور الإسلام على الشرك وأهله، لا إشكال فيه لأن

الأحكام قد تبنى على الفرض، ولأن هذا الصد قد يقع من المسلمين بعضهم لبعض كما يفعله بعض أمراء مكة في عصرنا من منع بعض العرب كأهل نجد من الحج لأسباب دنيوية؛ كأخذ بعض أمراء نجد الزكاة من بعض القبائل الذين يعدهم أمراء مكة تابعين لهم. ويحتمل أن تكون هذه الجملة معطوفة على قوله تعالى: فاصطادوا داخلة في حيز شرطه،ويكون المعنى: إن الصيد الذي كان محرما عليكم حال كونكم حرما يحل لكم إذا حللتم، وأما الاعتداء على من تبغضونهم فلا يباح لكم وأنتم حل، كما أنه لا يباح لكم وأنتم حرم، وإن كانوا صدوكم عن المسجد الحرام من قبل، وهذا لا يمنع من الجزاء على الاعتداء بالمثل؛ لأنه نهي عن استئناف الاعتداء على سبيل الانتقام، فإن من يحمله البغض والعداوة على الاعتداء على من يبغضه يكون منتصرا لنفسه لا للحق، وحينئذ لا يراعي المماثلة ولا يقف عند حدود العدل. [١]

والمفهوم من قول العلامة رشيد رضا إجابة الإشكال الوارد على هذه الآية بأنها نزلت بعد فتح مكة وبعد الفتح لم يكن هناك صد، أزال الإمام – رحمه الله– هذا الإشكال وأجاب عنه بأن الشرط في معنى الماضي اي ان كان صدوكم وحتى إن وقع الصد بعد الفتح فلا إشكال فيه أيضاً لأن الصد قد يقع من بعض المسلمين لبعضهم.

وأما الاعتداء فإنه لا يجوز بحال من الأحوال لأن المسلمين أمروا بالعفو وعدم مقابلة السيئة بمثلها ويدل على ذلك قوله: (وجزاء سيئة سيئه مثلها فمن عفا....)

[١]– ينظر: تفسير المنار للشيخ محمد رشيد بن علي رضا (١٠٥/٦ وما بعدها) ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

و حول قوله تعالى: (يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس) يقول الإمام البغوي –رحمه الله –"يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس".... قال الضحاك وأبو عبيدة: نجس قذر. وقيل: خبيث. وهو مصدر يستوي فيه الذكر والأنثى والتثنية والجمع، فأما النجس بكسر النون وسكون الجيم فلا يقال على الانفراد، وإنما يقال: رجس نجس، فإذا أفرد قيل: نجس بفتح النون وكسر الجيم وأراد به نجاسة الحكم لا نجاسة العين، سموا نجسا على الذم.

وقال قتادة: سماهم نجسا لأنهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤون.

قوله تعالى: فلا يقربوا المسجد الحرام، أراد منعهم من دخول الحرم لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام، وأراد به الحرم.

وهذا كما قال تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام)[١] وأراد به الحرم لأنه أسري به من بيت أم هانىء.

وجملة بلاد الإسلام في حق الكفار على ثلاثة أقسام:

أحدها: الحرم فلا يجوز لكافر أن يدخله بحال ذميا كان أو مستأمنا لظاهر هذه الآية، وإذا جاء رسول من بلاد الكفار إلى الإمام، والإمام في الحرم لا يأذن له في دخول الحرم بل يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم. وجوز أهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم. **والقسم الثاني من بلاد الإسلام:**

الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالإذن، ولكن لا يقيم فيها أكثر من مقام السفر وهو ثلاثة أيام.

لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لئن عشت إن شاء الله تعالى لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلما[٢].

---

[١]– الإسراء: ١.

[٢]– صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٨) رقم ١٧٦٧، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود، والنصارى من جزيرة العرب.

فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»، فلم يتفرغ لذلك أبو بكر رضي الله عنه، وأجلاهم عمر رضي الله عنه في خلافته، وأجل لمن يقدم منهم تاجرا ثلاثا .[١]

وجزيرة العرب من أقصى عدن إلى ريف العراق في الطول، وأما العرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام. **والقسم الثالث:** سائر بلاد الإسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بذمة أو أمان، ولكن لا يدخلون المساجد إلا بإذن مسلم.

قوله: بعد عامهم هذا، يعني: العام الذي حج فيه أبو بكر رضي الله عنه بالناس، ونادى علي كرم الله وجهه ببراءة، وهو سنة تسع من الهجرة.

قوله: وإن خفتم عيلة، وذلك أن أهل مكة كانت معايشهم من التجارات، وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ويتجرون، فلما منعوا من دخول الحرم خافوا الفقر، وضيق العيش، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: وإن خفتم عيلة فقرأ وفاقة. يقال: عال يعيل عيلة إذا افتقر، فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم، قال عكرمة: فأغناهم الله عز وجل بأن أنزل عليهم المطر مدرارا فكثر خيرهم. [٢]

لقد أخبر المولى –عزوجل– في هذه الآية المباركة بأن المشركين سواء أكانوا كفاراً أم عبدة أوثان فلا يدخلون المسجد الحرام بعد هذا العام الذي حدث فيه أبو بكر بالمسلمين وإن خاف المسلمون الفقر بعدم دخولهم المسجد الحرام فالله –عز وجل– سوف يغنيهم من فضله وهذا يعد شريفاً وتعظيماً وتكريماً من صاحب الحرم لحرمه حديث حرم على هؤلاء الأرجاس دخوله.

---

[١]– صحيح البخاري (٤/ ٦٩) رقم ٣٠٥٣، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: هَلْ يُسْتَشْفَعُ إِلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُعَامَلَتِهِمْ؟

[٢]– ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام محيي السنة الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (٢/٣٣٤ وما بعدها) المحقق: عبد الرزاق المهدي.الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

ويقول الإمام الرازي– رحمه الله –(قال الشافعي رضي الله تعالى عنه: الكفار يمنعون من المسجد الحرام خاصة، وعند مالك: يمنعون من كل المساجد، وعند أبي حنيفة رحمه الله: لا يمنعون من المسجد الحرام ولا من سائر المساجد، والآية بمنطوقها تبطل قول أبي حنيفة رحمه الله، وبمفهومها تبطل قول مالك، أو نقول الأصل عدم المنع، وخالفناه في المسجد الحرام لهذا النص الصريح القاطع، فوجب أن يبقى في غيره على وفق الأصل. [١]

نستخلص من ذلك أن:

١- حرم الله تعالى البيت الحرام وحرم التعرض لأي شيء له اتصال بالبيت الحرام كالهدي والقلائد.

٢- النهي الصريح من الله تبارك وتعالى بعدم قرب المسجد الحرام وسبب هذا النهي مذكر في الآية الكريمة وهو أنهم نجس والمراد نجاسة الاعتقاد لا العين، ويعد هذا تعظيماً عظيماً العظيم للبيت الحرام.

٣- قول الامام الشافعي بمنع دخول المشركين المسجد الحرام خاصة مقبول لان المسجد الحرام له حرمة خاصة وقال الإمام مالك بالاعتبار أولى لان المساجد كلها لله ولها حرمتها وقدسيتها، وإن كانت الآية مؤيدة لقول الشافعي.

[١]- ينظر :مفاتيح الغيب (٢٢/١٦).

المطلب الثالث:

التصريح بعذاب الصادين عن المسجد الحرام بعد انتفاء العذر عنهم.

ورد التصريح بعذاب الصادين عن المسجد الحرام في آية مباركةمن كتاب الله تعالى وهي قوله تعالى: (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [1].

حول هذه الآية الكريمة يقول العلامة رشيد رضا (أما قوله تعالى: وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام أي: وماذا وثبت لهم مما يمنع تعذيبهم بما دون عذاب الاستئصال عند زوال المانعين منه بعد، والحال أنهم يمنعون المسلمين من دخول المسجد الحرام ولو للنسك، قيل: المراد به صدهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عام الحديبية سنة ست، والآية نزلت عقب غزوة بدر سنة اثنتين. والمنع كان واقعا منذ الهجرة، ما كان يقدر مسلم أن يدخل المسجد الحرام فإن دخل مكة عذبوه إذا لم يكن فيها من يجيره، والمراد بالعذاب هنا عذاب بدر إذ قتل صناديدهم ورءوس الكفر فيهم، ومنهم أبو جهل، وأسر سراتهم، لا فتح مكة كما قال الحافظ – بل لم تكن الهجرة نفسها إلا بصد المؤمنين عنه، فقد كانوا يؤذون من طاف أو صلى فيه منهم إذا لم يكن له منهم أو من غيرهم من الأقوياء من يمنعه ويحميه، وقد وضعوا على ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم فرث الجزور وهو ساجد فلم يتجرأ أحد على رميه عنه إلا بنته فاطمة – عليها السلام – ومنعوا أبا بكر من الصلاة وقراءة القرآن فيه فبنى لنفسه مسجدا كان يصلي فيه، ويجهر بالقرآن، فصدوه عن الصلاة فيه أيضا؛ لأن النساء والأولاد كانوا يجتمعون لسماع قراءته المؤثرة

[1]– الأنفال: ٣٤.

فخافوا عليهم أن يهتدوا إلى الإسلام. وقد تقدم خبره في ذلك، وإجارة ابن الدغنة له ثم اضطراره إلى رد جواره، وهو من حديث الهجرة في البخاري[١].

وكانوا يقولون نحن ولاة البيت الحرام فنصد من نشاء، وندخل من نشاء فقال تعالى: إن أولياؤه إلا المتقون للشرك وسائر الفساد والظلم وهم المسلمون الصادقون، وقد وجدوا. وهذا غاية التأكيد، فإنه بعد أن نفى ولاية المشركين عن بيت الله تعالى نفى كل ولاية على الإطلاق، واستثنى منها ولاية المتقين من المسلمين، وهم عدو لهم وخيارهم لا من لا فضل لهم في أنفسهم، وإنما يدعون حق الولاية بأنسابهم. وقيل: إن الضمير في الموضعين لله تعالى، أي ولم لا يعذب الله هؤلاء المشركين بعد انتفاء سببي منع العذاب، والحال أنهم ليسوا أولياءه وأنصار دينه الذين لا يعذبهم؟ وكأن سائلا يسأل: من أولياؤه تعالى إذا؟ فأجيب بصيغة الحصر بالإثبات بعد النفي: ما أولياؤه إلا المتقون، أي الذين صارت التقوى العامة صفة راسخة فيهم، وتقدم ما يدل عليه هذا الإطلاق فيها من التفصيل في تفسير آية إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وما هي ببعيد. والقول الأول أقرب في هذا السياق، والثاني أخص، ويؤيده في حد ذاته قوله تعالى: (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) [٢]، ويجوز الجمع بينهما ولكن أكثرهم لا يعلمون أنه لا حق لهم في الولاية على هذا البيت ولا سيما بعد ظهور الإسلام، ووجود أولياء الله الموحدين الصالحين، وكانوا يدعون هذا الحق بنسبهم الإبراهيمي، وقد أبطله الظلم، وبقوتهم في قومهم، وإن كانت إلى ضعف أو لا يعلمون أنهم ليسوا أولياء الله – عز وجل –، ولا أن أولياءه ليسوا إلا المتقين، فهم الآمنون من عذابه بمقتضى عدله في خلقه، والحقيقون بالولاية على بيته، على ما أعد لهم من الثواب والنعيم بفضله، كما صرحت به آياته في كتابه، وقد أسند هذا الجهل إلى أكثرهم إذ كان فيهم

---

[١]– صحيح البخاري (٥/ ٥٨) رقم ٣٩٠٥، كتاب مناقب الأنصار ، بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ.

[٢]– يونس: ٦٣.

من لا يجهل سوء حالهم في جاهليتهم وضلالهم في شركهم، وكونه لا يرضي الله تعالى، فإن امتنع رؤساؤهم من الإسلام كبرا وعنادا، فقد كان فيهم من يكتم إيمانه خوفا من الفتنة، ويتربص الفرصة لإظهاره بالاستعداد للهجرة، ومنهم المستعدون له بسلامة الفطرة. [١]

نستخلص من ذلك أن

١- الآية الكريمة آنفة الذكر صرحت بعذاب هؤلاء المشركين الذين يصدون المسلمين عن دخول المسجد الحرام بعد انتفاء العذر عنهم لزعمهم الباطل أنهم أولياءه فرد عليه المولى عز وجل بزوال تلك الولاية عنهم وإثباتها للمتقين،(ان اولياؤه الا المتقون).

٢- تعدد أنواع صد هؤلاء المشركين للمسلمين كعدم دخولهم لأداء المناسك ومنعهم من الصلاة فيه الي غير ذلك من أنواع الصد.

[١]- ينظر:تفسير المنار (٩/٥٤٦ وما بعدها).

المبحث الثالث

البشرى بدخول المسجد الحرام وجعله قبلة للناس إلى يوم القيامة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

بشرى النبي بدخول المسجد الحرام.

المطلب الثاني:

البيت الحرام قبلة للناس إلى يوم القيامة.

المطلب الأول:

بشرى النبي– صلى الله عليه وسلم – بدخول المسجد الحرام.

هناك آية من كتاب الله تحدث في هذا الأمر وهي قوله تعالى:(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) [١].

اخبر المولى تبارك وتعالى في هذه الايه الكريمة عن رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم بدخوله وأصحابه المسجد الحرام آمنين من عدوهم دون خوف من إخراجهم في المستقبل وهذه بشرى للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقول العلامة ابن عطيه –رحمه الله – روي في تفسير هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون.

وقال مجاهد أرى ذلك بالحديبية فأخبر الناس بهذه " الرؤيا " ووثق الجميع بأن ذلك يكون في وجهتهم تلك وقد كان سبق في علم الله تعالى ان ذلك يكون لكن ليس في تلك الجهة.

وروي ان رؤياه إنما كانت ان ملكا جاءه فقال له " لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين " وإنه بهذا اعلم الناس فلما قضى الله في الحديبية بأمر الصلح وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصد وقال المنافقون وأين الرؤيا ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك فانزل الله تعالى " لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق"

واختلف الناس في معنى الاستثناء في هذه الآية فقال بعض المتأولين هو استثناء من الملك المخبر للنبي عليه السلام في نومه فذكر الله تعالى

[١]– الفتح: ٢٧.

مقالته كما وقعت وقال آخرون هو اخذ من الله تعالى عباده بأدبه في استعماله في كل فعل يوجب وقوعه كان ذلك مما يكون ولا بد او كان مما قد يكون وقد لا يكون وقال بعض العلماء إنما استثنى من حيث كل واحد من الناس متى رد هذا الوعد الى نفسه أمكن ان يتم الوعد فيه وان لا يتم إذ قد يموت الانسان او يمرض أو يغيب وكل واحد في ذاته محتاج إلى الاستثناء فلذلك استثنى عز وجل في الجملة إذ فيهم ولا بد من يموت او يمرض.

وقال آخرون: استثنى لأجل قوله " آمنين " لأجل إعلامه بالدخول فكان الاستثناء مؤخر عن موضعه ولا فرق بين الاستثناء من أجل الأمن او من أجل الدخول لأن الله تعالى قد أخبر بهما ووقت الثقة بالأمرين فالاستثناء من أيهما كان فهو استثناء من واجب.

واختلف الناس في الفتح القريب فقال كثير من الصحابة هو بيعة الرضوان وروي عن مجاهد وابن إسحاق انه الصلح بالحديبية

وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أو فتح هو يا رسول الله قال نعم[١].

وقال ابن زيد الفتح القريب خيبر حسبما تقدم من ذكر انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فتحها. وقال قوم الفتح القريب فتح مكة وهذا ضعيف لأن فتح مكة لم يكن من دون دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة بل كان بعد ذلك بعام لأن الفتح كان سنة ثمان من الهجرة ويحسن ان يكون الفتح هنا اسم جنس يعم كل ما وقع مما للنبي صلى الله عليه وسلم فيه ظهور وفتح عليه. [٢]

١)- ينظر: تفسير الطبري (٢٠٢ /٢٢)
٢)- ينظر: المحرر الوجيز (١٢٣/٥ وما بعدها).

من خلال ما ذكره العلامة ابن عطية –رحمه الله – تبين أن:

١– الرؤيا التي صدقها الله لرسوله كانت بالحديبية وترتب عليها قول المنافقين أين الرؤيا ودخول الريبة في بعض النفوس الضعيفة من المسلمين لما صدوا لمنصبه عند دخول المسجد الحرام بعد الرؤيا.

٢–القول بضعف من قال الفتح: هو فتح مكة والأولى أن يكون عاماً ليشمل كل فتح حدث للنبي صلى الله عليه وسلم إلي غير ذلك من الأمور التي ذكرها في تفسير هذه الآية.

وقال العلامه محمد الأمين الهرري في معنى هذه الآية:

والمعنى: أراه الرؤيا الصادقة المتلبسة بالحق والحكمة، حيث قال النبيّ– صلى الله عليه وسلم –لأصحابه وقت خروجه إلى الحديبية: والله {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ} تعالى حالة كونكم {آمِنِينَ} من العدوّ، فلا تخافون عدوّكم من أن يخرجكم في المستقبل، وهو حال من فاعل {لَتَدْخُلُنَّ}. والشرط: معترض، وكذا قوله: {مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ}؛ أي: جميع شعورها {وَمُقَصِّرِينَ} بعض شعورها؛ أي: محلّقًا بعضكم، ومقصّرًا آخرون، وإلا فلا يجتمع الحلق والتقصير في كل واحد منهم، فالنظم من نسبة حال البعض إلى الكل؛ يعني: أنّ الواو ليست لاجتماع الأمرين في كل واحد منهم، بل لاجتماعهما في مجموع القوم، ثمّ إنّ قوله: {مُحَلِّقِينَ} و {وَمُقَصِّرِينَ} من الأحوال المقدرة، فلا يرد أنّ حال الدخول هو حال الإحرام، وهو لا يجامع الحلق والتقصير، وقدّم الحلق على التقصير: وهو قطع أطراف الشعر؛ لأن الحلق أفضل من التقصير، وقد حلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمنى، وأعطى شعر شق رأسه أبا طلحة الأنصاري، وهو زوج أمّ سليم: وهي والدة أنس بن مالك، فكان آل أنس يتهادون به بينهم، وروي: أنه – صلى الله عليه وسلم – حلق رأسه أربع مرّات، والعادة في هذا الزمان في أكثر البلاد حلق الرأس للرجل، عملًا بقوله – صلى الله عليه وسلم –: "تحت كل شعرة جنابة، فخلّلوا الشعر، وأنقوا البشرة". وإنما قلنا: للرجل؛ لأنّ حلق شعر المرأة مثلة، وهي حرام، كما أنَّ حلق لحية الرجل

كذلك، فقوله: {لَتَدْخُلُنَّ} إشارة إلى أداء الحج، و {مُحَلِّقِينَ} إشارة إلى تمام الحج، فقوله: {لَا تَخَافُونَ} من العدوّ، فيبقى أمنكم بعد خروجكم عن الإحرام، حال مؤكدة من فاعل {لَتَدْخُلُنَّ} أو استئناف جوابًا عن سؤال أنه كيف يكون الحال بعد الدخول؟ أي: لا تخافون بعد ذلك من أحد.

وتلك الرؤيا أنه – صلى الله عليه وسلم – رأى عام الحديبية قبل خروجه إلى الحديبية: كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين، وقد حلقوا رؤوسهم وقصروا، فقصّ الرؤيا على أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوا مكة في عامهم، فلمّا خرجوا معه – صلى الله عليه وسلم –، وصدّهم الكفار بالحديبية، ورجعوا، وشقّ عليهم ذلك.. قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث: والله ما حلقنا ولا قصرنا، ولا رأينا المسجد الحرام، فنزلت هذه الآية المذكورة، ولمّا نزلت هذه الآية.. علم المسلمون أنهم يدخلونها فيما يستأنف، واطمأنت قلوبهم، ودخلوها معه – صلى الله عليه وسلم – في ذي القعدة سنة سبع، وذلك ثلاثة أيام هو وأصحابه، وصدقت رؤياه – صلى الله عليه وسلم –. [١]

نستخلص من ذلك أن:

هذه الآية الكريمة بشرى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام بدخول المسجد الحرام دون تحديد وقت لأن الدخول معلق بمشيئة –الله تعالى– .

[١]– ينظر: حدائق الروح والريحان (٢٧/٣٠٣–٣٠٥).

المطلب الثاني

البيت الحرام قبلة للناس إلى يوم القيامة.

الآيات القرآنية التي تحدث فى هذا الموضوع هي:

قوله تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)[١].

وقوله تعالى: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ** وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [٢].

سبب نزول قوله تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا...) قال الإمام السيوطي: قال ابن إسحاق حدثني إسماعيل بن ابي خالد عن أبي إسحاق عن البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت المقدس ويكثر النظر إلى السماء ينظر أمر الله فأنزل الله قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام فقال رجل من المسلمين وددنا لو علمنا علم من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة وكيف بصلاتنا قبل بيت المقدس فأنزل الله وما كان الله ليضع إيمانكم وقال السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله سيقول السفهاء من الناس إلى آخر ألآية له طرق نحوه وفي الصحيحين عن البراء مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله وما كان الله ليضيع إيمانكم)[٣].

---

[١]- البقرة (١٤٤).

[٢]- البقرة ١٤٩-١٥٠.

[٣]- ينظر: لباب النقول (ص١٩).

وفي الآية الكريمة (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ...) يقول الإمام أبو حيان:" قال قتادة والسدي وغيرهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه في الدعاء إلى الله تعالى أن يحوله إلى قبلة مكة. وقيل: كان يقلب وجهه ليؤذن له في الدعاء.

وقال الزمخشري: كان يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة، لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وأدعى للعرب إلى الإيمان، لأنها مفخرهم ومزارهم ومطافهم، ولمخالفة اليهود، فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام والوحي بالتحويل. انتهى كلامه، وهو كلام الناس قبله. فالأول: قول ابن عباس، وهو ليصيب قبلة إبراهيم. والثاني: قول السدي والربيع، وهو ليتألف العرب لمحبتها في الكعبة. والثالث: قول مجاهد، وهو قول اليهود: ما علم محمد دينه حتى اتبعنا، فأراد مخالفتهم. وقيل: كنى بالوجه عن البصر، لأنه أشرف، وهو المستعمل في طلب الرغائب. تقول: بذلت وجهي في كذا، وفعلت لوجه فلان. وقال:رجعت بما أبغي ووجهي بمائه وهو من الكناية بالكل عن الجزء، ولا يحسن أن يقال: أنه على حذف مضاف، ويكون التقدير بصر وجهك، لأن هذا لا يكاد يستعمل، إنما يقال: بصرك وعينك وأنفك لا يكاد يقال: أنف وجهك، ولا خد وجهك. في السماء: متعلق بالمصدر، وهو تقلب، وهو يتعدى بفي، فهي على ظاهرها. قال تعالى: لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، أي في نواحي السماء، في هذه الجهة، وفي هذه الجهة. وقيل: في بمعنى إلى. وقيل: في السماء متعلق بنرى، وفي: بمعنى من، أي قد نرى من السماء تقلب وجهك، وإن كان الله تعالى يرى من كل مكان، ولا تتحيز رؤيته بمكان دون مكان. وذكرت الرؤية من السماء لإعظام تقلب وجهه، لأن السماء مختصة بتعظيم ما أضيف إليها، ويكون كما جاء: بأن الله يسمع من فوق سبعة أرقعة، والظاهر الأول، وهو تعلق المجرور بالمصدر، وأن في على حقيقتها. واختص التقلب بالسماء، لأن السماء جهة تعود منها الرحمة، كالمطر والأنوار والوحي، فهم

يجعلون رغبتهم حيث توالت النعم، ولأن السماء قبلة الدعاء، ولأنه كان ينتظر جبريل، وكان ينزل من السماء.

فلنولينك قبلة ترضاها: هذا يدل على أن في الجملة السابقة حالا محذوفة، التقدير: قد نرى تقلب وجهك في السماء طالبا قبلة غير التي أنت مستقبلها. وجاء هذا الوعد على إضمار قسم مبالغة في وقوعه، لأن القسم يؤكد مضمون الجملة المقسم عليها.

وجاء الوعد قبل الأمر لفرح النفس بالإجابة، ثم بإنجاز الوعد، فيتوالى السرور مرتين، ولأن بلوغ المطلوب بعد الوعد به آنس في التوصل من مفاجأة وقوع المطلوب. ونكر القبلة، لأنه لم يجر قبلها ما يقتضي أن تكون معهودة، فتعرف بالألف واللام. وليس في اللفظ ما يدل على أنه كان يطلب باللفظ قبلة معينة، ووصفها بأنها مرضية له لتقربها من التعيين، لأن متعلق الرضا هو القلب، وهو كان يؤثر أن تكون الكعبة، وإن كان لا يصرح بذلك. قالوا:

ورضاه لها، إما لميل السجية، أو لاشتمالها على مصالح الدين. والمعنى: لنجعلنك تلي استقبال قبلة مرضية لك، ولنمكننك من ذلك.

فول وجهك شطر المسجد الحرام: أي استقبل بوجهك في الصلاة نحو الكعبة.

وبهذا الأمر نسخ التوجه إلى بيت المقدس. قالوا: وإنما لم يذكر في الصلاة، لأن الآية نزلت وهو في الصلاة، فأغنى التلبس بالصلاة عن ذكرها. ومن قال نزلت في غير الصلاة، فأغنى عن ذكر الصلاة أن المطلوب لم يكن إلا ذلك، أعني: التوجه في الصلاة. وأقول:

في قوله: فلنولينك قبلة ترضاها ما يدل على أن المقصود هو في الصلاة، لأن القبلة هي التي يتوجه إليها في الصلاة. وأراد بالوجه: جملة البدن، لأن الواجب استقبالها بجملة البدن. وكنى بالوجه عن الجملة، لأنه أشرف الأعضاء، وبه يتميز بعض الناس عن بعض.

وقد يطلق ويراد به نفس الشيء، ولأن المقابلة تقتضي ذلك، وهو أنه قابل قوله: قد نرى تقلب وجهك بقوله: فول وجهك. وتقدم أن الشطر يطلق ويراد به النصف، ويطلق ويراد به النحو. وأكثر المفسرين على أن المراد بالشطر تلقاؤه وجانبه، وهو اختيار الشافعي. وقال الجبائي، وهو اختيار القاضي: المراد منه وسط المسجد ومنتصفه، لأن الشطر هو النصف، والكعبة بقعة في وسط المسجد. والواجب هو التوجه إلى الكعبة، وهي كانت في نصف المسجد، فحسن أن يقال: فول وجهك شطر المسجد، يعني النصف من كل جهة، وكأنه عبارة عن بقعة الكعبة. ويدل على صحة ما ذكرناه. أن المصلي خارج المسجد متوجها إلى المسجد، لا إلى منتصف المسجد الذي هو الكعبة، لم تصح صلاته. وأنه لو فسرنا الشطر بالجانب، لم يكن لذكره فائدة، ويكون لا يدل على وجوب التوجه إلى منتصفه الذي هو الكعبة.

قال ابن عباس وغيره: وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيت كله.

وقال ابن عمر: إنما وجه هو وأمته حيال ميزاب الكعبة، والميزاب هو قبلة المدينة والشام، وهناك قبلة أهل الأندلس بتقريب، ولا خلاف أن الكعبة قبلة من كل أفق، وفي حرف عبد الله، فول وجهك تلقاء المسجد الحرام. والقائلون بأن معنى الشطر: النحو، اختلفوا، فقال ابن عباس: البيت قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل المشرق والمغرب، وهذا قول مالك. وقال آخرون: القبلة هي الكعبة، والظاهر أن المقصود بالشطر: النحو والجهة، لأن في استقبال عين الكعبة حرجا عظيما على من خرج لبعده عن مسامتتها. وفي ذكر المسجد الحرام، دون ذكر الكعبة، دلالة على أن الذي يجب هو مراعاة جهة الكعبة، لا مراعاة عينها. واستدل مالك من قوله: فول وجهك شطر المسجد الحرام، على أن المصلي ينظر أمامه، لا إلى موضع سجوده، خلافا للثوري والشافعي والحسن بن حي، في أنه يستحب أن ينظر إلى موضع سجوده، وخلافا لشريك القاضي، في أنه ينظر القائم إلى موضع

سجوده، وفي الركوع إلى موضع قدميه، وفي السجود إلى موضع أنفه، وفي القعود إلى موضع حجره. قال الحافظ أبو بكر بن العربي:

إنما قلنا ينظر أمامه، لأنه إن حنى رأسه ذهب ببعض القيام المعترض عليه في الرأس، وهو أشرف الأعضاء، وإن أقام رأسه وتكلف النظر ببصره إلى الأرض فتلك مشقة عظيمة وحرج، وما جعل عليكم في الدين من حرج«.

وحيث ما كنتم: هذا عموم في الأماكن التي يحلها الإنسان، أي في أي موضع كنتم، وهو شرط وجزاء، والفاء جواب الشرط، وكنتم في موضع جزم. وحيث: هي ظرف مكان مضافة إلى الجملة، فهي مقتضية، الخفض بعدها، وما اقتضى الخفض لا يقتضي الجزم، لأن عوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال، والإضافة موضحة لما أضيف، كما أن الصلة موضحة فينا في اسم الشرط، لأن الشرط مبهم. فإذا وصلت بما زال منها معنى الإضافة، وضمنت معنى الشرط، وجوزي بها، وصارت إذ ذاك من عوامل الأفعال.

فولوا وجوهكم شطره: وهذا أمر لأمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما تقدم أمره بذلك، أراد أن يبين أن حكمه وحكم أمته في ذلك واحد، مع مزيد عموم في الأماكن، لئلا يتوهم أن هذه القبلة مختصة بأهل المدينة، فبين أنهم في أيما حصلوا من بقاع الأرض، وجب أن يستقبلوا شطر المسجد. ولما كان صلى الله عليه وسلم هو المتشوق لأمر التحويل، بدأ بأمره أولا ثم أتبع أمر أمته ثانيا لأنهم تبع له في ذلك، ولئلا يتوهم أن ذلك مما اختص به صلى الله عليه وسلم. [1]

يقول العلامة ابن رشد: اتفق المسلمون على أن التوجه نحو البيت شرط من شروط صحة الصلاة لقوله تعالى: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} أما إذا أبصر البيت فالفرض عندهم هو التوجه إلى عين البيت ولا خلاف في ذلك. أما إذا غابت الكعبة عن الأبصار فاختلفوا من ذلك

[1]- ينظر: البحر المحيط في التفسير (٢/٢٣-٢٥).

في موضعين: أحدهما هل الفرض هو العين أو الجهة؟ والثاني هل فرضه الإصابة أو الاجتهاد: أعني إصابة الجهة أو العين عند من أوجب العين؟ فذهب قوم إلى أن الفرض هو العين وذهب آخرون إلى أنه الجهة. والسبب في اختلافهم هل في قوله تعالى: {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} محذوف حتى يكون تقديره: ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام أم ليس هاهنا محذوف أصلا وأن الكلام على حقيقته؟ فمن قدر هنالك محذوفا قال: الفرض الجهة ومن لم يقدر هنالك محذوفا قال: الفرض العين والواجب حمل الكلام على الحقيقة حتى يدل الدليل على حمله على المجاز وقد يقال إن الدليل على تقدير هذا المحذوف قوله عليه الصلاة والسلام: "ما بين المشرق والمغرب قبلة إذا توجه نحو البيت" قالوا: واتفاق المسلمين على الصف الطويل خارج الكعبة يدل على أن الفرض ليس هو العين أعني إذا لم تكن الكعبة مبصرة. والذي أقوله إنه لو كان واجبا قصد العين لكان حرجا وقد قال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} فإن إصابة العين شيء لا يدرك إلا بتقريب وتسامح بطريق الهندسة واستعمال الأرصاد في ذلك فكيف بغير ذلك من طرق الاجتهاد. [١]

يتضح من كلام العلامة بن رشد أن الفرض هو استقبال جهة الكعبة لا عين الكعبة لمن كان بعيدا عنها لتعذر إدراك العين، وهذا من رحمة الله بنا وفي قوله تعالى: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ).

في هاتين الآيتين قال الإمام الرازي: " اعلم أن أول ما في هذه الآية من البحث أن الله تعالى قال قبل هذه الآيات: قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا

[١]- ينظر: بداية المجتهد و نهاية المقتصد للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (١/١١١)الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر-الطبعة: الرابعة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) [١]

وذكر هاهنا ثانيا قوله تعالى: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) ثم ذكر ثالثا قوله: (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة) فهل في هذا التكرار فائدة أم لا؟ **وللعلماء فيه أقوال:**

أحدها: أن الأحوال ثلاثة:

أولها: أن يكون الإنسان في المسجد الحرام. **وثانيها:** أن يخرج عن المسجد الحرام ويكون في البلد.

وثالثها: أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض، فالآية الأولى محمولة على الحالة الأولى، والثانية على الثانية، والثالثة على الثالثة، لأنه قد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا تثبت فيها للبعد، فلأجل إزالة هذا الوهم كرر الله تعالى هذه الآيات.

والجواب الثاني: أنه سبحانه إنما أعاد ذلك ثلاث مرات لأنه علق بها كل مرة فائدة زائدة أما في المرة الأولى فبين أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأمر هذه القبلة حق، لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل، وأما في المرة الثانية فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق، وشهادة الله بكونه حقا مغايرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقا، وأما في المرة الثالثة فبين أنه إنما فعل ذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة، فلما اختلفت هذه الفوائد حسنت إعادتها لأجل أن يترتب في كل واحدة من المرات واحدة من هذه الفوائد، ونظيره قوله تعالى: فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا

[١]- البقرة: ١٤٤.

من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) [١].

والجواب الثالث: أنه تعالى قال في الآية الأولى: فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فكان ربما يخطر ببال جاهل أنه تعالى إنما فعل ذلك طلبا لرضا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه قال: فلنولينك قبلة ترضاها فأزال الله تعالى هذا الوهم الفاسد بقوله: ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك أي نحن ما حولناك إلى هذه القبلة بمجرد رضاك، بل لأجل أن هذا التحويل هو الحق الذي لا محيد عنه فاستقبالها ليس لأجل الهوى والميل كقبلة اليهود المنسوخة التي إنما يقيمون عليها بمجرد الهوى والميل، ثم إنه تعالى قال ثالثا: ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والمراد دوموا على هذه القبلة في جميع الأزمنة والأوقات، ولا تولوا فيصير ذلك التولي سببا للطعن في دينكم، والحاصل أن الآية السالفة أمر بالدوام في جميع الأمكنة والثانية أمر بالدوام في جميع الأزمنة والأمكنة، والثالثة أمر بالدوام في جميع الأزمنة وإشعار بأن هذا لا يصير منسوخا البتة.

والجواب الرابع: أن الأمر الأول مقرون بإكرامه إياهم بالقبلة التي كانوا يحبونها وهي قبلة أبيهم إبراهيم عليه السلام، والثاني مقرون بقوله تعالى: لكل وجهة هو موليها] البقرة: ١٤٨] أي لكل صاحب دعوة وملة قبلة يتوجه إليها فتوجهوا أنتم إلى أشرف الجهات التي يعلم الله تعالى أنها حق وذلك هو قوله: ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك. والثالث مقرون بقطع الله تعالى حجة من خاصمه من اليهود في أمر القبلة فكانت هذه عللا ثلاثا قرن بكل واحدة منها أمر بالتزام القبلة نظيره أن يقال: الزم هذه القبلة فإنها القبلة التي كنت تهواها، ثم يقال: ألزم هذه القبلة فإنها قبلة

[١]- البقرة: ٧٩

الحق لا قبلة الهوى، وهو قوله: وإنه للحق من ربك ثم يقال: الزم هذه القبلة فإن في لزومك إياها انقطاع حجج اليهود عنك، وهذا التكرار في هذا الموضع كالتكرار في قوله تعالى: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)[١] وكذلك ما كرر في قوله تعالى: (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين)[٢].

والجواب الخامس: أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة وإيضاح البينات. [٣]

[١]- الرحمن: ١٢.
[٢]- الشعراء: ١٧٤.
[٣]- ينظر: مفاتيح الغيب (١١٧/٤ وما بعدها).

** الخاتمة **

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء و إمام المرسلين ورحمه الله للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله وأصحابه أجمعين

وبعد،،،،،،

قد انتهيت بحمد الله وعونه ومشيئته من هذا البحث المتواضع الذي أسميته (رَي الظَّمآن في حديث القرآن عن المسجد الحرام) أرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في عرضه وسددت وقاربت في الوفاء بالمطلوب بقدر الطاقة البشرية.

كما أسال الله لي ولمن قرأ هذا البحث أن يرزقنا حج بيته وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم مراراً عديدة في أزمنة مديدة – آمين.

وقد خرجت من هذا البحث المتواضع بالنتائج الآتية:

اولاً: البيت الحرام هو أول البيوت الموضوعة في الأرض لعبادة لله تبارك وتعالى.

ثانيا: جعله الله تبارك وتعالى أمناً واماناً في الاسلام وقبله ولم يتعرض أحد له بسوء إلا أهلكه الله كما حدث لأصحاب الفيل.

ثالثا: توفر لهذا البيت المعظم من الفضائل والمزايا ما لم تتوفر في بيت آخر من بيوت العبادة.

رابعا: حرم الله عز وجل هذا البيت والحرم التعرض لأي شيء له علاقة في هذا البيت المعظم

خامسا: صرح المولى عز وجل بعذاب من صد قاصد هذا البيت للنسك والزيارة وهذا يدل على قدسيته وحرمته وتعظيمه عند الله.

سادسا: البيت الحرام قبله جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها يتجهون اليه في صلاتهم ويذهبون إليه في حجهم وعمرتهم.

رزقنا الله جميعا زيارة بيته المحرم آمين

وبعد: فما كان من هذا البحث من صواب فهو من الله وله الحمد، وما كان من قصور فهو من النفس، والحمد لله أولا وأخيرا.

** المصادر والمراجع **

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: التفسير وعلوم القرآن:

١.أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبي بكر الجزائري .الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية –الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢.البحر المحيط في التفسير .للإمام أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل –الناشر: دار الفكر – بيروت –الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٣.البرهان في علوم القرآن للإمام بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم –الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م –الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٤.التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» للإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) –الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس –سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٥.التسهيل لعلوم التنزيل للإمام أبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي –الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت–الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

٦.تفسير القرآن العظيم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ
٧.تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ
٨.تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)–المحقق: سامي بن محمد سلامة –الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع –الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
٩.تفسير المنار المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
١٠.تفسير المنار للشيخ محمد رشيد بن علي رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١١.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. د: وهبة بن مصطفى الزحيلي– ط: دار الفكر المعاصر – بيروت، دمشق –الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.
١٢.التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، قصص الأنبياء في القرآن الكريم للعلامة الدكتور/ سميح عاطف الزين. ط: دار الكتاب اللبناني– الرابعة (١٤٠٨هـ–١٩٨٨م).
١٣.تفسير آيات الأحكام للشيخ / محمد علي السايس، ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

١٤.جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٥.الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)- المحقق: هشام سمير البخاري- الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية- الطبعة: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
١٦.حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي. دار طوق النجاة، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
١٧.حديث القرآن عن خليل الرحمن تأليف/ أ.د/ عبد المنعم ممدوح الرماح. دار الإشعاع – الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
١٨.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ. تحقيق: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
١٩.غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المحقق: الشيخ زكريا عميرات. دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.
٢٠.فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢١.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٢٢.لباب النقول في أسباب النزول للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ . ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
٢٣.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م –الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
٢٤.معالم التنزيل في تفسير القرآن للإمام محيي السنة الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (٣٣٤/٢ وما بعدها) المحقق: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي –بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٢٥.معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٢٦.مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٧.النكت والعيون للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

ثالثا: الحديث وعلومه:

٢٧.صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى 1422هـ.

٢٩.صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٠.فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٣١-مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية 1420هـ، 1999م.

٣٢-سنن ابن ماجه (١/ ٣٩٨) الناشر: دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

رابعا: الفقه وأصوله:

٣٣-أحكام أهل الذمة للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)- المحقق: يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري- الناشر: رمادى للنشر – الدمام- الطبعة: الأولى، 1418 – 1997).

٣٤-إعلام الساجد بأحكام المساجد للإمام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: 794 هـ). المحقق: أبو الوفا مصطفى المراغي. الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. الطبعة: الرابعة، 416 هـ – 1996 م.

٣٥-الأم للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ). الناشر: دار المعرفة – بيروت– (1410هـ/1990م).
٣٦-بداية المجتهد ونهاية المقتصد للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر-الطبعة: الرابعة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٣٧-بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني، الناشر دار الكتاب العربي– سنة النشر 1982– مكان النشر بيروت).
٣٨-زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت– الطبعة: السابعة والعشرون، 1415هـ /1994م
٣٩-الفتاوى الكبرى للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس– الناشر: دار المعرفة – بيروت– الطبعة الأولى، 1386، تحقيق: حسنين محمد مخلوف.
٨٠-الفروع، للإمام محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبي عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي (المتوفى: 763هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الأولى 1424 هـ - 2003 م).
٨١-المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار الفكر، بدون.
٨٢-المحلى للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ). الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٣-مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى للإمام مصطفى السيوطي الرحيباني، المتوفى سنة 1243هـ- الناشر المكتب الإسلامي، 1961م، دمشق.
٤٤-مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للإمام محمد الخطيب الشربيني -الناشر دار المعرفة – بيروت- لبنان .

-خامسا: كتب أخرى:

٤٥-تهذيب الأسماء واللغات للعلامة أبى زكريا محيي الدين بن شرف النووي، المتوفى سنة 676 هـ. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
٤٦-دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ .
٤٧-لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري. دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – 1414 هـ.

ثالثـًا :

القراءات